الفصل الرابع

جُبْران خليل جُبْران: حياته وفنه

١- جبران خليل جبران: حياته

٢- جبران خليل جبران: فنه

أ) مؤلفات جبران العربية وفلسفته المعبّرة فيها

ب) آثار جبران الإنكليزية وفلسفته المصورة فيها

٣- جبران خليل جبران: أسلوبه الشعري

٤- جبران: مكانه الأدبي في الشرق وفي الغرب

١- جُبْران خليل جُبْران

حياته

وُلـــد جـــبران خليل جبران[1] في ٦ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٨٣.[2] في بشري قرية لبنانية واقعة في القسم الشمالي من الجبل وهي منطقة كانت طوال قرون عـــدة معقلا من معاقل الموارنة (Maronites) وكانت بيئته متأخرة وعائلته فقيرة كان أصـــلها كأصل معظم العائلات اللبنانية لم تكن مؤكدة. وكان أبوه خليل بن جبران الذي يعمل عند بعض الإقطاعيين ويلقى كثيراً من المشقة لحصول رزق عائلته.[3] فهو مضـــى حياته في مهنة التزام ضريبة الماعز في بشرى والمنطقة المجاورة لها.[4] وكانت أمه تدعـــى كاملـــة رحمة، ابنة كاهن القرية اسطفان عبد القادر رحمة، وأرملة حنّا عبد الســـلام رحمـــة الذي أنجبت منه ولداً باسم بطرس.[5] وكانت كاملة رحمة ذات ثقافة محـــدودة فقد تميّزت بالذكاء والنبيهة وتحلّت بإرادة قوية وهمة لا تعرف الكلل. كما

---

[1] توقّـــع جـــبران اسمه في أعماله الإنجليزية (Gibran) وهو ما اتبعته في الكتب العربية فينطق اسمه بفتح الجيم وضمها وكسرها. راجع: س موريه، الشعر العربي الحديث، ص ١٢١. وكتب الأستاذ Hamilton Gibb اسمه Jibran Khalil Jibran في كـــتابه "الدراسات في الحضارة الإسلامية"، ١٩٦٨، ص٢٧٢ جبران بضم الجيم وفتح الراء وهو ما اتبعه الدكتور خليل حاوي في بحثه عن جبران وسعيد فارس باز الذي نقل كتاب خليل حاوى إلى العربية (راجع د. خليل حاوى، جبران خليل جبران، المترجم بالعربية سعيد فارس باز، ص عنوان الكتاب و ص ٨٢) وراجع أيضاً

Dr. Muhammaed Abdul Hai, Tradition, English and American Influence in Arabic Romantic Poetry. P.7

[2] خليل حاوي: جبران خليل جبران، ص٨٢، راجع أيضاً: والمفيد في الأدب العربي، ص٦٠٦

[3] جُوزيف الهاشم والآخرون: المفيد في الأدب العربي، ج٢، ص٦٠٦

[4] الدكتور جميل جبر: جبران، ص١٥، د. خليل حاوي: جبران، ص٩٠

[5] خليل حاوي: جبران خليل جبران، ص٨٣

كانت موسيقية الصوت، تجيد أداء الأغاني الشعبية للبنانية.[1] وكانت متحمّلة لمسؤولية أولادهـــا وقابلة للتضحية بالذات، متساهلة مع أولادها، طموحاً في سبيل مستقبلهم. ونشـــأ جبران في بيت يخيم عليه الهزال والفقر وتدب فيه الفوضى ويشتد الخصام بين أمه المظلومة وأبيه السكير. ولم يكن جو المدرسة أقل تثبيطا للعزيمة نظراً "لأن الاعتقاد بـــأن القسوة جزء من التهذيب لا يستغنى عنه كان اعتقاداً شائعا حينذاك".[2] فكان جـــبران يعانق الوحدة التي قد تبدّى مبكراً في صباه، علامة على ميله عن حياة البيت وحـــياة المدرسة على السواء. وفي نفس الوقت، إنه عرض ذكاء مبكراً وولعاً شديدا بالرســـم. فيقول الدكتور خليل حاوي، الشاعر اللبناني والباحث في سيرة جبران، في هذا الصدد: "فقد قال جميع الذين عرفوا جبران صبيّا أنه كان والداً غريبا يحب العزلة، ينفرد بنفسه قرب ديرمارسركيس، مصوراً الرسوم بقلم الرصاص أحيانا وبقلم الفحم أحيانا. وذلك مما دفع أباه الذي كان واحداً من رجال بشرى الاشداء. إلى مخاصمته بصورة دائمة."[3]

وقـــد هاجـــر جـــبران وأخوه الأكبر "بطرس" (Peter) وأمه وأختيه ماريانا وسلطانة في سنة ١٨٩٥[4] إلى بوسطن من مدينة أمريكا الشمالية. واستقر مع أعضاء عائلته. في "الحي الصيني" وكان فيها جالية كبيرة من مهاجرى بشري التي استطاعت

---

[1] المصدر السابق، ص٨٣

[2] الدكتور خليل حاوي: جبران خليل جبران، ص٩١

[3] نقلا عن: د. خليل حاوى، جبران خليل جبران، نقله إلى العربية سعيد فارس باز، ص٩٢

[4] ميخائيل نعيمة: جبران، ص٢٧، د. جميل جبر، لبنان في روائع أقلامية، ص٦١ واحمد قبش: تاريخ الشعر العـــربي الحديـــث، ج٢، ص٢٩٥. ولكن تاريخ الأصح هو ١٨٩٤ على رأي الدكتور خليل حاوي بعد مقابلات مع أفراد عديدين الذين قالوا هذا التاريخ، راجع: الدكتور خليل حاوي، جبران، ص٨٤

أمـــه أن تعـــتمد عليها[1] فأرسله أخوه بطرس إلى المدرسة ليدرس اللغة الانكليزية في أمـــريكا. ثم عـــاد إلى لبنان عام ١٨٩٨ ليحصل على الثقافة العربية ويتقن لغة بلاده فالتحق بمدرسة الحكمة التي يديرها كهنة موارنة ودرس فيها اللغتين العربية والفرنسية مدة أربع سنوات.[2] وفي أثناء تلك الفترة، كما يقول يوسف الحويك، رفيق صفه في مدرسة الحكمة، أنه (جبران) درس شكسبير والرمانطيقيين الإنكليزيين في بوسطن.[3] وكما درس الشعر الرومانطيقي وبعض مسرحيات شكسبير. وأنشأ جبران بالاشتراك مـــع اثنين من رفاق الصف هما يوسف الحويك وبشارة الخوري في لبنان المجلة الأدبية والفلسفية بعنوان "المنارة".[4] ويقول خليل حاوي في هذا الصدد:

> وفي ابّان هاتين السنتين اللتين كان لهما الأثر الفعّال في تكون شخصيته، تكشفت موهبة أخرى من مواهبه أصبحت، في ما [كذا فيما بعد] ميزة بارزة من ميزات شخصيته الناضجة ألا وهي موهبة القيادة الفكرة. ذلك بأنّـــه، في ســـنته الأخيرة بالحكمة- أنشأ بالاشتراك مع اثنين من رفاق الصف- يوسف الحويك وبشارة الخورى، دوريّة أدبية إسمها "المنارة".[5]

وأخـــبرنا يوسف الحويك بأن جبران كان صاحب المشروع والمحرّر الرئيسي والمتـــبرّع والفـــنّان لمجلة المنارة، الذي كان يزينها بالتخطيط والرسوم. وكان جبران

---

[1] ميخائيل نعيمة: جبران، ص٢٥، د. جميل جبر: جبران، ص١٩ د. خليل حاوي: جبران، ص٨٤

[2] جوزيف الهاشم الآخرون: المفيد في الأدب العربي، ج٢، ص٦٠٧

[3] د. خليل حاوي: جبران، ص٩٣

[4] Joseph P. Ghougassian, Khalil Gibran: Wings of Thought, p. 26

يقول الدكتور جميل جبر: إن اسم الدوريّة التي أنشأها جبران في لبنان هي "النهضة" راجع: د. جميل جبر، جبران، ص٢٤ و تقول السيدة يونغ و J.P. Ghougassian أنه كان "الحقيقة" راجع: يونغ برباره: هذا الرجل اللبناني، ص١٨٤.

[5] الدكتور خليل حاوي: جبران، ص٨٧

يقضى العطلة الصيفية في بشرى، ويزور اباه وأقاربه وينعم بمرابع الصبا.[1] وما لبث أن علّق قلبه بفتاة من أهل اليسر، كانت هذه الفتاة تدعى حلا الضاهر (Hal al-Dahir) وتمتاز بجمالها ونبالة محتدها. "فحالت تقاليد الصبقات دون زواجها ولقى الجيبان كثيراً من قسوة الحرمان وظلم الأهل"[2] فكانا يلتقيان في جنبات الطبيعة من حين إلى حين، يتباثان لواعج الشوق وآلام الفراق حتى خيل جبران لنفس المراهقة أن الطبيعة والسعاة صنوان. فهي التي ترفع عن كاهل الانسان نير المجتمع وعبودية التقاليد، وتشعره بنوع من الحرية التي افتقدها الإنسان، منذ خرج من نعيم الفطرة والعفوية إلى جحيم المجتمع والمدنية. فقد استيقظ في حبه لهذه الفتاة وأدرك عمق الهوة التي اقيمت بين الطبقات الإجتماعية. لهذا نجد ارتباط التجربة الوجدانية في مؤلفاته بالتجربة الاجتماعية.[3] وفي هذه الفترة كتب جبران كتابه بعنوان "الأرواح المتمرة" وفيها نقد حكام الأتراك ورجال الدين وفساد الأوضاع وقانون المجمع اللبناني عن الزواج. لهذا نفته حكومة الأتراك وأحرقت كتابه هذا في سوق بيررت.[4]

وعاد جبران إلى بوسطن في نيسان عام ١٩٠٣. بعد حصول برقية من أخيه بطرس يخبره بموت أخته سلطانة ومرض أمه مرضا خطيراً. ولما وصل إلى بوسطن رأي أمه في المستشفى تقاسى مرض السَلّ وبه ماتت أخته وهذا المرض نفسه أمات أخاه بطرس في آذار ١٩٠٣ ثم ماتت أمه في المستشفى بعد ثلاثة أشهر من هذه السنة.[5]

هكذا رجع جُبران خليل جبران إلى الولايات المتحدة يحمل أشلاء الحب

---

[1] المصدر السابق، ص٨٨

[2] نفس المصدر، ص٨٨

[3] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ج٢، ص٧٠٦

[4] Joseph P. Ghougassian, "Khalil Gibran: Wings of Thought", p. 27

[5] ميخائيل نعمية: جبران، ص٥٣، د. جميل جبر: جبران، ص٣٢، J.P. Ghougassian "جبران"، ص٢٧

والخيـــبة وقدّم نفسه نقمة على التقاليد المظالم التي يفرضها المجتمع على حرية العاطفة وقدسيتها وكما قال جوزيف الهاشم عن ثورة جبران على أوثان المجمع مقدساته:[1]

> لقـــد خرج (جبران) من دور المعاناة السلبية المكتومة إلى طور السخط والغـــيظ، يشهر سيف النقمة ويجهر بالثورة ويتحفّز للوثوب على أوثان المجـــتمع ومقدساته التي لا قدسية لها. ولهذا أثر ان يهجر المدرسة ويشقّ لنفســـه طريق التمرد والعصيان، يقرأ كتبا من هنا وهناك، ويتدب على الكتابة تدرباً شخصيا، ...إثر تلك الفاجعة العاطفية التي فجر ثورته.

ولكـــنه فجّعـــه موت أخته سلطانة شديداً وهذه الفاجعة أدّت به إلى حدود الكفر. كما قال جبران نفسه: "لقد مات ربي عندما أمات سلطانة، فكيف أحيا بعد اليوم بلا ربّ"[2] وهكذا بعد أن يعاني جبران خليل جبران تجارب الفقر والغربة وتجرب الحب المتمزق الدامي، أضحى عانى الآن تجربة الموت يزرع البلاء في حياته والسويداء في نفسه.[3] وكانت هذه التجربة أعنف تجاربه وأقساها. وإذا كان معرك جبران للفقر والحرب وفساد الأوضاع الذي ربط تجربته الإجتماعية بوجدانه الصراع فجيع الموت الـــذي اتصل بتجربته الوجدانية والإجتماعية الميتافيزيقية[4] وجعله يواجه مبدأ الأشياء وعلتها الأولى والأخيرة ويتحرّى حكمتها القريبة والبعيدة.

وفي العشـــرين إنصرف هذا الكاتب والرّسام الشاب إلى "متابعة تحصيله الفني

---

[1] جوزيف الهاشم وغيره: المفيد في الأدب العربي، ج٢، ص٦٨

[2] المصدر السابق، ٦٠٨ و

Ismat Mahdi, Modern Arabic Literature, Hyderabad, 1983, p. 145

[3] Joseph. P. Ghougassian, "Khalil Gibran", p. 326

[4] المصدر السابق، ص٢٨

والأدبي" (الانشـــاء والرسم) ونشر المقالات في جريدة "الأخبار"[1] جريدة "المهاجر" وجمـــع جبران خليل جبران في سنة ١٩٠٤ مجموعة من رسومه التي بدأت لـــه جيداً لإقامة المعارض، فأقام معرضا في محترف "فرد هولند دى" (Fred Holland Day)، أحد المصوّرين المعروفين.[2] وفي هذا المعرض تعرف جبران على ماري هاسكل، آنسة أميركية ورئيســـة مدرســـة الطالبات في بوسطن. وأصبحت ماري هاسكل محسنة وصديقة لـــه طول حياته. فهي غيرت مجرى حياته بعطفها عليه وعنايتها بمستقبله.[3] وفي نفس السنة (١٩٠٤)، أقام جبران معرضا في مدرسة مارى هاسكل ولقى أميلي ميشال (Emilie Michel)، معلّمـــة شابة فرنسية الأصل بكنية ميشلين (Micheline) وقامت الصداقة والعلاقة الحميمة بينه وبينها.[4] فيقول الدكتور خليل حاوي في هذا الصدد:

> لم يكـــن الأستاذ نعيمة في تعليقاته على طبيعة العلاقة القائمة بين جبران وميشـــلين، ينظر إلى تلك العلاقة منعزلة، وانما على ضوء علاقة جبران بالأنسة هاسكل... ويفارق بين شعر الحب الوجداني المثالي الذي كان يكتبه يومذاك وعلاقته الشهوانية الاثيمة بميشلين.[5]

وصرّح ميخائيل نعيمة أن جبران وميشلين وقعا في الحب لأول نظرة حتى إن جـــبران في لقائـــه الأول لم يتركها الا يقبّلها... وذلك أمام الآنسة مارى هاسكل والمعـــلمات الأخريات وكانت الآنسة هاسكل لها عين ثالثة تبصر كل شيء" حدث بـــين جبران وميشلين ونجد المعلومات أن جبران نفسه كشف عن علاقاته الغرامية في

---

[1] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ج٢، ص٦٠٨ وما بعدها.

[2] ميخائيل نعيمة: جبران، ص٥٣، راجع أيضاً: السيدة برباره يونغ، "هذا الرجل اللبناني، ص١٨٥

[3] Joseph P. Ghogussian, "Khalil Gibran", New York, p. 28

[4] د. خليل حاوي: جبران ، ص٩٩، نعيمة: جبران، ص٦٨ وما بعدها، J. P Ghougassian، جبران، ص٢٩

[5] د. خليل حاوي: جبران، ص٩٩، وراجع أيضاً: ميخائيل نعيمة، جبران، ص٦٨ وما بعدها.

هذا العهد في رسالته إلى صديقه جميل المعلوم عام ١٩٠٨.[١]

وأرسلته الآنسة هاسكل على نفقتها إلى باريس (Paris)، عاصمة الفنون ومدينة أحلامه، عام ١٩٠٨ لدراسة الرسم فيها وتتلمذ جبران على أشهر معاصر هو "روديـن (Augusto Rodin)، جبار فرنسي من جبابرة الفن وكاهن من كهنة الجمال المعدوديـن.[٢] فالتحق بالمعهد الفني المسمى ب "أكاديميّة لوسيان" (Academi Lucie) تحت بإشراف الأستاذ لورانس (Maitre Lawrence) وفيها التقى ثانية برفيق صفه القديم في مدرسة الحكمة يوسف الحويك (Yusuf Huwayik)، ولكن لم تمض بضعة أشهر حتى ثار على الانضباط الأكاديمي وأراد ان يكون حرّا في العمل على مذهب لورانس.[٣] وقد كانت "أيام باريس بمثابة العهد الذهبي في خلق جوّ واسع أمام جبران تنضج فيه عبقريته موهبته ويتم تكوينه أديبا وشاعراً رساما[٤] فنشر جبران في عام ١٩٠٨م كتابه "الأرواح المتمردة" وفي نفس الوقت أعد كتابين آخرين هما "فلسفة الدين والتدين" الذي لم يطبعه الآخر و"الأجنحة المتسكرة"[٥] (١٩١٢). وكانت حياته في تلك الفترة التي تصف رسائله عامة "حياة كاتب وفنّان شاب يقضي نهاره في الرسم وقسما من ليله في الكتابة، تحيط به ضبابة من الاحلام والأفكار، وسحابة من دخان التبغ تمتزج برائحة القهوة التركية وكان طموحه عظيما..."[٦]

---

[١] د. خليل حاوي: جبران خليل جبران، ص٩٣

[٢] احمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث، ص٢٩٥

[٣] د. خليل حاوي: جبران خليل جبران، ص٩٧

[٤] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ج٢، ص٦٠٨

[٥] الدكتور خليل حاوي: جبران، ص٩٦

[٦] المصدر السابق نقله إلى العربية، سعيد فاريس باز، ص١٠١

وقـــد اعترف رودين بعبقرية جبران بمثله بوليم بليك (William Blake)[1] حتى سمّـــاه ولـــيم بلـــيك في القرن العشرين في الأدب العربي بالمشابهة في الكتابة والرسم والســـيرة بين جبران وبليك (Blake).[2] تقول الأستاذة نادرة جميل سرّاج عن تعرف جبران على بليك (Blake) وقراءة مؤلفاته واعجاب على تمرده على القوانين الصارمة والعادات القديمة ثورته على العبودية الشخصية على الحكومة والدين:

> وهم (المهجريون)... أفراد مثقفون عشقوا القراءة المطالعة، وتعلموا لغة الـــبلاد الـــتي حلوا بها، فأمكنهم هذا من الإطلاع على بعض الآداب الأجنـــبة الـــتي وجدوا ميلا نحوها. فهذا جبران خليل جبران يغرم أثناء وجـــوده في فرنســـا 'بولـــيم بليك' (William Blake)، الشاعر والفنان الإنجليزي، ويعود الفضل في تعرفه به إلى الفنان الفرنسي رودان (Rodin) الـــذي تلّمذ جبران على يديه في فن الرسم. وقرأ جبران كل ما وقعت علـــيه يده من مؤلفات 'بليك' وما كتب عنه وما قيل فيه، وأعجبه منه على وجه الخصوص ذلك المتمرد على القوانين الصارمة والعادات القديمة البالية، وتلك الثورة على العبودية الشخصية، وعلى الحكومة والدين في كثير من الأحيان، فبليك متمرد ثائر يعجب متمرداً ثائراً مثل جبران.[3]

ونـــرى أن جبران خليل جبران كان متمرداً وثائراً منذ طفولته على الأوضاع والأحوال التي لقيها خاصة في لبنان،[4] وثار جبران على مظالم الأتراك واستبداد رجال

---

[1] هـــو شـــاعر وفـــنّان أمريكي. وكان متمرداً على القوانين الصارمة والعادات القديمة وثائراً على العبودية الشخصية وعلى الحكومة والدين وتأثر جبران بتمرده وثورته هذا تأثيرا بالغاً.

[2] Joseph P. Ghaugassian, "Khalil Jibran: Wings of Thought", New York, p. 29

[3] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ١٢٢

[4] المصدر السابق، ص١٢٢

الدين والقوانين الصارمة والتقاليد القديمة وما إلى ذلك: وكتب في هذه المادة فيمابعد المقـــالات الكثيرة أشهرها "يوسف الفخرى" و"يوحنا المجنون". يقول ميخائيل نعيمة عن ثورة جبران أولا على ظلم الحكّام واستبداد رجال الدين في لبنان ثانيا على جميع الناس وتقاليدهم ولاسيما على تقاليد القدامى في الأدب العربي:

> ثار جبران في بدء حياته الأدبية على الظلم الذي تجسّد لـــه أول ما تجسّد في جـــور التقاليد والحكّام وغطرسة رجال الدين في لبنان. وانتهت ثورته تلك برواية "الأجنحة المتكسرة"... وثار جبران مع ينتشه على الحكام والرهابين وحدهـــم، بـــل عـــلى جميع الناس وتقاليدهم ومقاييسهم وموازينهم وعلى الأسس الواهية التي أقاموا عليها صرح حياتهم. فلا أديانهم ولا سياساتهم ولا فلسفاتهم ولا حرّرتهم من الخوف والذلّ والعبودية والمسكنة...[1]

وفي أثناء الفترة التي قضاها في باريس بدأ جبران في صقل شخصيته والتمرس بالاعلان عن ذاته كما مزج الواقع بالخيال والعاطفة في قصة حياته ونسج الأسطورة حـــول اسمه وشهرته. وقد أعاد النظر في رواية "الأجنحة المتكسرة" التي تعتبر سيرته الذاتية ولم تظهر حتى ١٩١٢. وجعل بطلة القصة "سلمى كرامة" وهي تقول لـــه: "فاقة أبيك لا تجعلك عبداً."[2]

وعاد جبران إلى بوسطن في مساء ٢٢ أكتوبر عام ١٩١٠ بعد أن قضى سنتين في بـــاريس.[3] وبعـــد "عودته طلب إلى الآنسة مارى هاسكل أن تسير معه إلى حيث تدعوهمـــا الحياة"[4] وكان هذا في رأي الأستاذ ميخائيل نعيمة، رغبة في الضمان المالي

---

[1] ميخائيل نعيمة: مقدمة المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، ص٢٥

[2] المصدر السابق، ج٢، ص٤٧

[3] Joseph. P. Ghaugassian, "Khalil Gibran", p. 29 و راجع د. خليل حاوي، جبران، ص١٠٠

[4] ميخائيل نعيمة: جبران، ص١٠٤ وما بعدها

وليس من أثر حب حقيقي. ولكن السيدة يونغ فتؤكد العكس، اذ تقول أن جبران لم يطلب يد الآنسة هاسكل إلا بعد أن أضحى موسر الحال، وفي نيته أن يوصى لها بجميع أملاكه، أقرارا بسابق فضلها. ويروى الأستاذ عبد المسيح حداد رأيا ثالثا مؤدّاه أن علاقة الآنسة هاسكل بجبران لم تكن إلا علاقة محسنة بفنّان موهوب، منكراً أنه عرض عليها الزواج انكارا باتا.[1]

وفي سنة ١٩١١ أنشأ جبران خليل جبران جمعية عربية باسم "الحلقات الذهبية".[2] وفي هذه الفترة أخذ يرسم جبران صورا من بعض مشاهير عصره لتحصيل معيشته، اذا لم يكن في طوقه أن يعتمد دائما على معاونة الآنسة هاسكل المالية.[3] كما تقول السيدة يونغ، شاعرة أميركية أن جبران رسم صور رودين، (Rodin)، وديبوسى (Debussy)، ومايترلنك (Maeterlink) وغيرهم من مشاهير باريس.[4]

وانتقل جبران خليل جبران إلى نيويورك عام ١٩١٢م. واستقر فيها إلى آخر حياته.[5] واستأجر محترفا استعمله غرفة نوم وغرفة استقبال وغرفة طعام ومطبخا في آن معا وكان هذا المحترف يقع في ضواحى "قرية غرينتش" (Greenwich Village) تحت رقم ٥١ من الشارع العاشر غرباً (51 West Tenth Street) بين الجادتين الخامسة والسادسة.[6] وعكّف على التأليف والنشر والرسم. وفي نفس السنة نشر جبران روايته "الأجنحة المتكسرة" في سيرته الذاتية التي يزعم أنها قصة حبه الأول في لبنان. وقد

---

[1] نقلا عن: د. خليل حاوي، جبران، ص١٠٠ وما بعدها

[2] المصدر السابق، ص١٠١ وراجع أيضاً: د. جميل جبر، جبران، ص١٠٢ و P.K. Hitti, History of Arabs, P. 482

[3] المصدر السابق، ص١٠١

[4] Young Barbara: This Man from Lebanon, p 58

[5] Joseph P. Ghaugassian, "Khalil Gibran: Wings of Thoughts", p. 30 :جوزيف الهاشم، المفيد، ص٦٠٩ ميخائيل نعيمة: جبران، ص١١٨

[6] ميخائيل نعيمة: جبران، ص١١٩و J.P. Ghaugassian: جبران، ص٣٠، د. خليل حاوي: جبران، ص١٠٧

أتاحـــت آثـــاره في حقـــل الأدب العربي أن يتعرف على جماعة من الأدباء المهجر البارزين. وأثرت الحرب العالمية الأولى على نفس جبران تاثيراً كبيراً إذا إجتمع عنده الفقـــر والظـــلم والمصيبة وقلة رواج كتبه التي ألفها باللغة العربية حتى ذلك الحين.[1] وأنشـــأ جـــبران بمســـاعدة زملائه جمعية أدبية باسم "الرابطة القلمية"[2] عام ١٩٢٠ بنـــيويورك فانصرف إلى التأليف باللغة الإنكليزية بنجاح بالغ فأصدر ثمانية كتب في ثمانـــية أعـــوام درّت عليه أرباحًا طائلة ونزعت من قلمه طعم المرارة ومن قلبه مرارة الشكوى. وصار جبران أبعد المهجريين شهرة إذا اشتهرت مؤلفاته في اللغتين العربية والإنكليزية فأقبل عليها القراء في العالم الغربي والعالم العربي معا.[3]

تـــوفى جبران خليل جبران ١٠ إبريل ١٩٣١م[4] في الساعة الحادية عشرة من مســـاء يوم الجمعة بمرض السل المتوارث بأحد مستشفيات نيويورك ونقل جثمانه إلى لبـــنان ليدفن في البلدة بشرى التي أنجبته[5] ودفن في دير مارسركين[6] (Mar-Sarkis) في وادي قاديشا أي الوادي المقدس حسب وصية.

---

[1] Joseph P. Ghaugassian, "Khalil Gibran", p. 30

[2] انظر: الفصل الأول من هذه الدراسات لبحث مفصل عن الرابطة القلمية

[3] الدكتور خليل حاوي: جبرا، ص١١٨

[4] الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦٠٩، قبس: تاريخ الشعر، ص٢٩٥

[5] Joseph. P. Ghaugassian, "Khalil Gibran", p. 32 و"المفيد" في الأدب العربي، ص٦٠٩

[6] انظـــر: ابن بطوطة، بطل لبنان، ص٥٢ و ٥٣ و'كنوز لبنان' ص٥٥ وكان (وادى قاديشا) ذاته موطن الأديرة الكبيرة، ففيه (دير قنوبين) "وهو دير قديم جداً وأكثره داخل مغارة". وشمالي (وادي قاديشا) واد فيه ديـــر قزحـــيا (ومعناه: كنـــز الحياة) وقاعدة أديار الرهبان اللبنانيين الموارنة أهمها: كتاب لبنان ص٤١. راجـــع أيضاً: عبد الكريم الاشترى، النثر المـــهجري، ص٣٥

٢- جبران خليل جبران: فنه

أ) مؤلفات جبران العربية وفلسفته المعبّرة فيها

كان جبران خليل جبران كاتبا قصصيا وشاعراً فنّانا ومصلحا إجتماعيا. وقد حظي جبران بمنـــزلة ممتازة في عالم الأدب والفن بمؤلفاته الضخمة ورسومه الضخمة. فكتـــب في النـــثر باللغتين العربية والإنجليزية ولا شك أن الكتاب الذي شهّر جبران ورفعه إلى أسمى درجات الكتّاب والمؤلفين في الشرق والغرب على السواء فهو "النبي" (The Prophet) الـــذي كتبه بالإنجليزية ثم ترجم إلى العربية تحت اشرافه.[١] ومن أهم مؤلفاته العربية "عرائس المُرُوج"، و"الأرواح المتمردة"، و"الأجنحة المتكسرة"، و"دمعة وابتســـامة"، و"المواكب"، و"العواصف"، وغيرها. فلنتحدث عن هذه الكتب واحداً بعدواحد:

١- الموسيقى

ومـــن بواكير كتابات جبران مقال في الموسيقى الذي أصدره عام ١٩٠٥م في نـــيويروك في شكل كتيب. فكان الحلقة الأولى في سلسلة كتاباته التي اختتمها بكتابه الانكلـــيزي "التائه" الذي نشر بعد موت جبران.[٢] وكتاب "الموسيقى" فيض خلجات قلبه المولع بالأنغام. فيقول جبران نفسه عن الموسيقى:

فالموسيقى هي لغة النفوس والالحان نسيمات لطيفة تمز أوتار العواطف

---

[١] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٢٨٨

[٢] ميخائيل نعيمة: مقدمة المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران: ج١، ص٧٠

هي أنامل رقيقة تطرق باب المشاعر وتنبه الذاكرة فتنشر هذه مالوطوته الليالي من حوادث أثرت فيها بماض عبر.[1]

فالموسيقى يتميز بسهولة التعبير، وحلاوة التلوين، ولطافة الوقع، وصدق النيّة، وسلامة الذوق، وعمق الإحساس، والنزعة إلى الإبداع في الوصف والتشبيه: فجبران يتنكّب المألوف عن الجناس والمجاز ويحاول الكلمات من المعاني فوق ما تعوّدت حمله على ألسنة الكتاب والشعراء مثلما يحاول تجريدها من التفاهة والفضول. مثلا يقول جبران: "الألحان في قضائي أشباح الذات الحقيقة او أخيلة الشعائر الحيّة"[2] ويختتم هذا المقال بما يشبه النشيد في تمجيد الموسيقى والموسيقيين من العالم الغربي ومن العالم الشرقي وينتهى عند هذا القرار: "كبّر أيها الكون الأولى بثّوا في سمائك أنفسهم، وملأوا الهواء أرواحا لطيفة، وعلّموا الإنسان أن يرى يسمعه ويسمع بقلبه أمين."[3]

٢- عرائس المُرُوج

ألفه في عام ١٩٠٦[4] ويشتمل هذا الكتاب على ثلاث أقاصيص مستمدة من واقع الحياة اللبنانية.وهي تعكس بعضا من قضايا وطن جبران العربي وتعبّر عن رأيه حيالها. فهي: "رماد الأجيال والنار الخالدة" و"مرتا البانية" و"يوحنّا المجنون".[5]

أما 'رماد الأجيال' فهي حكاية عاشقين عاشا في عام ١١٦ قبل الميلاد أحدهما شاب من بعلبك تخطف الموت حبيبته في ريعان شبابها فحزن على وجهه في

---

[1] نقلا عن: محمد يوسف كوكن، أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، ج٢، ص١٩

[2] نقلا عن: ميخائيل نعيمة، مقدمة المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، ص٨

[3] المصدر السابق، ص٨

[4] د. خليل حاوي: جبران، ص١٣٠

[5] جوزيف الهاشم الآخرون: المفيد في الأدب العربي، ج٢، ص٦٠٩

الـــبرارى "يحمـــل في قلبه حبه الخالد" كالنار الخالدة التي تكمن تحت رماد الأجيال. فـــيقول جـــبران: "فالأحلام والعواطف تبقى ببقاء الروح الكلي الخالد. وقد تتوارى حيـــنا وتهجـــع أونة متشبهة بالشمس عند مجيء الليل وبالقمر عند مجيء الصباح".[1] وانبعث حبه الخالد في سنة ١٨٩٠م ويعود عاشقان إلى بعليك ذاتها وعاشا فيها، وقد أمســـت هياكلها طلولا، ولكنهما يعودان في ذي فتى يرعى الأغنام وفتاة قروية عارية تقمصا بقوة عشتروت روحي ذينك العاشقين القديمين لينعما بما منه سالفا من ملذات الحـــب وسعادة الشباب.[2] فهذه القصة دليل على عقيدة جبران بتناسخ الأرواح التي اتصلت إليه إما عن طريق المطالعة أو من أفواه بعض معارفه.[3]

وفي قصة 'مرتا البانية' صور جبران لنا فتاة قروية يتيمة فقيرة الحال بل طاهرة القلـــب والجسد[4] مات أبوها عندما كانت في المهد وماتت أمها قبل أن تبلغ العاشرة مـــن عمرها. فتعهدها جار فقير حتى إذا بلغت السادسة عشرة من عمرها، غرر بها أحـــد الفرســـان من المدينة عندما لقيها في طريق بعيدة عن القرية ثم نبذها بعد ذلك ليـــتركها فريسة للشقاء، وفي احشائها ثمرة الخطيئة ويهتدى إليها المؤلف وهي على فراش الموت، فيقول جبران معزيا:

... يا مرتا، أنت زهرة مسحوقة تحت أقدام الحيوان المختبى، في الهياكل البشرية ... تعزّى يا مرتا بكونك زهرة مسحوقة وليست قدماً ساحقة.

فتجيب مرتا المحتضرة:

---

[1] ميخائيل نعيمة: مقدمة المجموعة، ص٩

[2] يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر في العربي الحديث، ج٢، ص٢٠

[3] انظر: ميخائيل نعيمة، مقدمة المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، ج٢، ص٩

[4] المصدر السابق، ص١١

نعـــم أنـــا مظلومة. أنا شهيدة الحيوان المختبئ في الإنسان. أنا زهرة مســـحوقة تحت الأقدام... أيها العدل الخفي، الكامن وراء هذه الصور المخيفة، أنت، أنت السامح عويل نفسي المودّعة ونداء قلبي المتهامل.[1]

أمـــا القصـــة الثالـــثة 'يوحنّا المجنون' فيصوّر جبران فيها نموذجا من الضعفاء المظلومـــين، أي بطل القصة، هو الفتى القروى يعمل في زراعة الأرض وتربية الأبقار. ويحب الطبيعة، ويعيش فيها متعبدا لربه.[2] ذات يوم أرسل أبقاره ترعى وانصرف إلى دراســـة الإنجـــيل يرافق الناصري في درب الصليب "ويتألم مع الاله الإنسان بالجسد ويتمجد معه بالروح". فدخلت عجوله على غفلة منه أرض الدير وأكلت من زرعه. فجس الرهبان عليه وعذبوه، وقد ناقشهم في أمور الدين ونعتهم بالأفاعى التي حولت الهـــياكل إلى مغاور تتلوى فيها بالروغ والاحتيال. و لم يطلق سراحه إلا بعد أن افتدا أبـــواه بمـــبلغ من المال وشهد والده أمام الناس بانه مجنون.[3] فهو يخطب في الجماهير المحتشدة في حفلة تكريس كنيسة جديدة مناجيا يسوع الناصري:

انظر يا يسوع الجالس في قلب دائرة النور الأعلى... انظر أيها الراعي الصالح، فقد نهشت مخالب الوحوش ضلوع الحمل الضعيف الذي حملته عـــلى منكبيك... نواح المحزونين لا تعبه آذان المتكلمين بتعاليمك فوق المنابر... تعال ثانية يا يسوع الحي واطرد باعة الدين من هياكلك.[4]

وفي هذه الروية يصور جبران ديانته بالحب. كان العالم الروحاني أكثر ضرورة

---

[1] جبران: 'عرائش المُزوج'، ص١٣ وما بعدها

[2] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١٠

[3] ميخائيل نعيمة: مقدمة المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، ج٢، ص١٢

[4] المصدر السابق، ص١٢، See: Naimy, "Great Works of Kahlil Gibran" Delhi, p. 437

مـــن عدن في حالة الطبيعة وكان جبران يعتقد بتناسخ الأرواح لإشباع رغبات الحب الـــتي يصـــورها في الحكايـــة "رماد الأجيالي والنار الخالدة" ويريد منها خلود الحب خاصـــة.[1] ونلاحـــظ هنا اعتقاد جبرن بالحزن والألم سبيلا للتطهير وبألوهة الإنسان وبالتقمص وبعالم الأحلام فراراً من حقيقية الحياة.

٣- الأرواح المتمردة

هـــو مـــن أبرز الكتب وأروعها الذي أصدره جبران عام ١٩٠٨م[2] ويحدث جـــبران فـــيه عـــن الأرواح التي تمردت على التقاليد والشرائع القاسية. ويحتوى هذا الكـــتاب عـــلى أربـــع أقاصيص وهي: 'وردة الهاني'، و صراخ القبور، و'مضجع العروس' و'خليل الكافر'.

(ألف) وردة الهاني

وهـــي تصـــوّر فتاة جميلة تزوّج صغيرة إلى رجل هرم غني جداً، كان زوجها رشيد ابن نعمان[3] يحسن معاملتها. ولكن غناه لم يكن قادراً على أن يجعله محبوباً من زوجـــه الصـــبية. وعندما اكتشفت حقيقة الحب التي "تبتدع قلوبنا، ولا تقدر قلوبنا عـــلى أن تبـــتدعها"[4] شعرت الفتاة بأنها كانت زانية ومجرمة في بيت زوجها وكانت تخـــون زوجها وتخون حبها الأصلي وعواطفها. وترضى الفتاة بالشقاء إلى أن يبعث القـــدر اليها بشاب إشتغلت عواطفها به حبّا حتى هربت معه مستجيبة لنداء الروح لتمضى وتعيش مع الشاب فالناس في المجتمع يدعونها زانية وناكرة الجميل فنبذوها من

---

[1] د. خليل حاوي: جبران خليل جبران، ص١٣٥ وما بعدها

[2] ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، ج١، ص١٣

[3] M. Naimy, "Great works of Gibran", New Delhi, 2003, p. 677

[4] ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، ج١، ص١٤

مجتمعهم.[1]

وهـــذه هـــي قصة "وردة الهاتى" التي تملأ بالأحاديث والعظات قضايا الحياة الاجتماعـــية فالقصة من أولها إلى آخرها شكوى إمرأة مظلومة ولكنها شكوة بليغة ومؤثرة بما أودعها في جبران وحماسته وإندفاعه من جمال وقوة واخلاص.[2]

(ب) صُراخ القبور

فهـــي حكايـــة ثلاثة حكم عليهم شيخ الأمير بشير بالقتل من غير أن يسألهم ســـؤالا من غير أن يسمع شهادة شاهد في قضاياهم. أولهم كان شابا إتهم بقتل قائد مـــن قواد الأمير والثاني فتاة اتهمها زوجها بالخيانة وقد حكم عليها بالرجم والثالث، وشـــيخ اتهمـــوه بـــرقة بعض الأوانى الذهبية من كنيسة الدير وحكم عليه بالشنق.[3] وبالحقـــيقة أن هـــذه الجرائم ليست جرائم على الإطلاق. فالشاب الذي قتل القائد دفاعـــا عن خطيبته التي أراد ذاك اغتصابها. وأما الفتاة في الواقع ما خانت زوجها بل انها بالحقيقة تتحدث مع رجل كان يحبها حبّا طاهراً.[4] وأما الشيخ الفقير ما سرق غير زنبـــيل من الدقيق لأنه كان يتضوّر أولاده جوعاً من بعد أن طرده الدير من خدمته. و"صـــراخ القـــبور" تـــنديد بالشرائع العقيمة التي تخدم القوى لتسهل سيطرته على الضعيف.[5]

(ج) مضعج العروس

فهي "قصة وقعت في شمال لبنان" يعود جبران إلى عين الوتر الذي نقر عليه في

---

[1] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ج٢، ص٦١٠

[2] ميخائيل نعيمة: مقدمة المجموعة، ج١، ص١٤

[3] نفس المصدر، ص١٤ وراجع أيضاً: الدكتور خليل حاوي: جبران، ص١٥٧

[4] د. خليل حاوي: جبران، ص١٥٨ راجع أيضاً: جوزيف الهاشم: المفيد، ص٦١١

[5] ميخائيل نعيمة: مقدمة المجموعة، ص١٥

جميع قصصه السابقة: وتر الزواج الكهري وجور الحكّام ورجال الدين وضخط الإقطاعيين.[1]

وهي قصة فتاة اسمها ليلى كانت قد أحبّت شاباً اسمه سليم وخدعتها أكاذيب منافسة لا تدعى نجيبة، فأجبرها والدها أن تتزوّج رجلا لا تحبه.[2] وفي ليلة زفافها والناس في هرج ومرج، تبصر حبيبها بين الجماهير فترسل اليه من يدعوه لمقابلتها جلسة في حديقة البيت، والتمست منه الغفران وسألته أن تفر بعيداً. وطلب إليها أن تعود إلى عريسها. قال أنه نسيها وأحب إمرأة سواها. فلما لم تصدق هي ذلك أنذرها بأنه سيدعو المدعوين ليخرجوا فيروهما معا؛ إن هي لم تعد، "فتغيرت ملامحها... وأصبحت كلبؤة فقدت أشبالها"[3] وفي لحظة من جنون الحب والغيرة صرخت وطعنته على الأثر فارتمى على الأرض وقد غشيتهما ظلمة الموت، واعترفت شفتاه المرتعشتان بحبه يقول "أن الحب أقوى من الموت فتعا نقا وتبادلاً القبل"[4] واذ ذاك نادت ليلى المدعوين أن يخرجوا فينظروا عريسها وسرير عرسها الحقيقي.وتلقى الفتاة خطبة رائعة في الحياة والحب وجماله والموت والأجيال الآتية التي ستذكرها شهيدة، فتقول للناس: "أنتم لا تفهمون كلامي لأن اللجة لا تعي أغاني الكواكب"[5] ثم تغمد الخنجر في صدرها وتموت.

(د) خليل الكافر

فهي قصة شاب يتيم كان يرعي للدير أبقاره فيأكل الخبز اليابس وخبيث

---

[1] مخيائيل نعيمة: المجموعة، ص١٥

[2] د. خليل حاوي: جبران، ص١٥٥

[3] جبران: الأرواح المتمردة، ص٦٩

[4] الدكتور خليل حاوي: جبران، ص١٥٥

[5] نقلا عن: ميخائيل نعيمة، المجموعة، ج١، ص١٥

الـــزرق، ويـــنام في الزرائـــب مع الخنازير في حين وأن رهبات الدير يعيشون برخاء ويـــأكلون أطيب الطعام ويلبسون أجمل اللباس من الحرير، ويتمتعون بخيرات الفقراء والمســـاكين. فيثور خليل، بطان القصة ضد الرهبين ومظالم الحكّام والأديار. ويظهر ضلالاتهم ويطلب العدل لـــه ولجميع المظلومين. فيطرد من الدير في ليلة باردة عاصفة ممطـــرة ويكـــاد يموت لولا إن امرأة أرملة أوته وساعدته. وفي هذه الأقصوصة تنقيد بالإقطاعية الدينية والسياسية.[1]

وقصـــة "خليل الكافر" فهي تكاد تكون مثل يوحنا المجنون مع بعض التغيرات في الظروف والأسماء والأشخاص فهي كذلك في خصام الرهبين فخليل يلقى محاضرة طويلـــة في جـــور الأتراك ورجال الدين واستبداد الإقطاعيين أمام الكاهن الذي جاء يشكوه إلى الحكام.[2] أحبّ جبران وطنه الأصلي حبا يقارب اليهام. ففي جيال لبنان الـــتي لا نظير لها بين الجبال تفتحت شخصيته. فلا غرو أن يتغنّى جبران أول ما يتغنى بمفـــاتن لبنان، وأن يحس أوجاعه في كل نبضة من نبضات قلبه الحساس، وأن ينتفض شـــعوره السليم انتفاضة الألم العميق لكل مظهر من مظاهر الذل والظلم والرياء في هذه البقعة التي أحبها ولذلك مشاعر الحزن والأسى والإحساس بالألم من وحي لبنان تتجـــلى في معظـــم مؤلفـــات جبران المبكرة. مثل: "الموسيقى" و"عرائس المروج" و"الأرواح المتمردة" و"الأجنحة المتكسرة" ويصور جبران فيها صورا لبنانية ووجوها لبنانـــية وأصواتا لبنانية ثم ينصرف عن موطنه الأصغر إلى موطنه الأكبر أي إلى العالم، كله ولكنه يعود أحيانا إلى لبنان[3] يصور لبنان في هذه المقطوعة:

---

[1] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١١

[2] محمد يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، ج٢، ص٢٢

[3] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ج١، ص١٧

لكم لبنانكم ولي لبناني

لكم لبنانكم ومعضلاته، ولى لبنانى وجماله

لكم لبنانكم بكل ما فيه من الأغراض والمنازع ولى لبنانى بما فيه من الأحلام والأمانى[1]

٤- الأجنحة المتكسرة

هو أشهر أقاصيص جبران وأقربها إلى نفسه، و أصدرها عام ١٩١٢[2] في نيويورك من بعد "الأرواح المتمردة" بأربع سنوات يقول جبران نفسه عن هذا الكتاب، "هذا الكتاب أشهر مما قد كتبت في أي وقت مضى"[3] و"أهداه "إلى التي تحدق بالشمس بإجفان جامدة، وتقبض على النار بأصابع غير مرتعشة وتسمع نغمة الروح الكلي، من وراء ضجيج العميان وصراخهم. . إلى مارى هاسكل"[4]

ويروى جبران في هذا الكتاب حكاية حبه الأول عندما كان طالبا في مدرسة الحكمة في بيروت، يوم أحب فتاة من أهل اليسار اسمها سلمى كرامة وهي ابنة فارس كرامه الوحيدة الذي يحبها حبا شديداً.[5] فرفض والدها تزويجها من جبران، ليزوجها من رجل فاسد مقامر خليع، رصيده أنه ابن أخي المطران. ولكن سرعا ما يهمل منصور بك زوجه وينصرف إلى شهواته ومفاسده ويبتز أموالها ليبذرها في الغواية.

---

[1] نقلا عن: الدكتور جميل جبر، لبنان في روائع أقلامية، بيروت، ص٦٢

[2] Joseph P. Ghaugassian, "Khalil Gibran" p. 39 راجع أيضاً: ميخائيل نعيمة: مقدمة المجموعة الكاملة، ص١٧ جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١١

[3] جبران خليل جبران: A Self Portrait، ص٢٠، لكن ورأي النقاد: "النبي" من أشهر مؤلفات جبران. انظر د. خليل حاوي: جبران، ص خاتمة الكتاب

[4] نقلا عن: جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١١

[5] الدكتور خليل حاوي: جبران، ص١٦١

فتعـــيش ســـلمى في الشقاء والمأساة يزيد من حدثها أنها لم ترزق ولداً. ويموت أبو سلمى، فتلقى اليتم والمرارة لا عون لها وعزاء دون حبيبا الأول (جبران) تلقاه حيناً بعد حـــين حتى تحول الشائعات دون ذلك وتبتهل سلمى إلى الله لترزق والداً فيستجاب الدعـــاء وتحمل بعد خمسة أعوام ولكن يموت الطفل ليلة ولادته، وتموت سلمى قبل طلوع الشمس فتدفن مع ابنها في قبر والدها فارس كرامة.[1]

وفي هذه القصة مثل أقاصيص جبران الأخرى شحوبا مرده إلى طغيان الحديث فـــيها عـــلى الحركة والخيال على الواقع. وفيها "قلبان متحابان تحول دون اتحادهما التقالـــيد الإجتماعية وسلطة رجل من رجال الدين ولكن في ظروف تترك القارئ في حيرة لا في نقمة على التقاليد ورجال الدين.[2]

وهذه والقصة مليئة بالملاحظات والتعقيبات والتأملات ونجد بعض ملاحظات طفـــيفة حول الطبيعة التي تلقى ضوءاً على معتقدات جبران بالنظر الصلة بين الطبيعة والفـــرد. والطبـــيعة عـــنده هي كائن يعبر عن نظام كوني مثالي ويحمل طابع الروح العالمي. فالطبيعة هي أم الكائنات الحية جميعا، ولها حق الطاعة عليها.[3] فيقول جبران نفسه:

> كـــل شيء في الطبيعة يرمز ويتكلم عن الأمومة، فالشمس هي أم هذه الأرض. وهـــذه الأرض هـــي أم الأشجار والأزهار. وأم كل شيء في الكيان هي الروح الكلية الأزلية الأبدية المملؤة بالحب والجمال.[4]

---

[1] الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١١ وما بعدها

[2] ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، ج١، ص١٧

[3] د. خليل حاوي: جبران، ص١٦٣

[4] جبران خليل جبران: ج٢، "الأجنحة المتكسرة" ص٦٤

فالطبيعة عند جبران أشياء كثيرة تسود عليها روح المحبة الشاملة فتبدو مظاهرها في كل الأشياء الطبيعية وللتعبير عن ذلك يعتمد على صورة الحب بنوعيه: الجنسي والأمومي مثلا صورة المعانقة.[1]

وهذه القصة هي سيرة جبران الذاتية[2] وأنها قصة حبه الأول في لبنان بفتاة أحبها جبران لأول نظرة التي تدعى حلا الضاهر (Hala al-Dahir)، ابنة فارس كرامة الوحيدة.[3] وفي آخر لقاء بين جبران وسلمى قبل زواجها. يقول جبران لها مراراً "بأن يبقى على حبها إلى الأبد." وأما حديثهما وتلامسهما يبتدع مشاعر الأمة والأخوة. و"تشبه سلمى حبها لـه بمحبة الأم لولدها الوحيد[4] وغالبا ما تناديه "يا أخي وحبيبي" وتقول لـه: "انظر إلى وجهي، انظر جيداً يا أخي". كما تقول لأبيها عن جبران بعد زواجها من منصور بك:[5] "هو رفيق نفسي ولكنني أثقلت عاتقه بأشجاني هو أخ أحبه ويحبني"[6] ويقول جبران: "وطوقت عنقي بزندها وقبّلت شفتي قبلة طويلة عميقة محرقة أيقظت الحياة في جسدي."[7]

وكانت هذه القصة تجارب جبران المرة لها أكبر تأثير في مستقبل حياته ومؤلفاته. فمنذ ذلك الوقت كان ثائراً قوياً على رجال الدين وكان متمرداً على كل الشرائع والتقاليد.

---

[1] الدكتور خليل حاوي: جبران خليل جبران، ص١٢٠

[2] المصدر السابق، ص١٠٧ وراجع أيضاً: Joseph P. Ghaugassian, "Khalil Gibran" New York, p. 40

[3] د. خليل حاوي: جبران، ص١٤٩

[4] نعيمة: المجموعة من "الأجنحة المتكسرة"، ص٨١

[5] ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، ص٤٤

[6] المصدر السابق، ص٦٦

[7] نقلا عن: د. خليل حاوي، جبران، ص١٥١

٥- دمعة وابتسامة

هذه مجموعة مقالات في الشعر المنثور التي كتبها جبران بين ١٩٠٣ و ١٩٠٨ ونسرها في جريدة "المهاجر" لصاحبها أمين الغريب، صديق جبران[1] وقد جمعت هذه المقـــالات عـــام ١٩١٤ ونشرت في كتاب بعين العنوان والفضل لنشرها يرجع إلى نسيب عريضة.

يضمّ الكتاب نحوا من ٦٠ مقطوعة[2] قصيرة هي أقرب إلى القصائد النثرية وإلى الأدب الوجداني القائم على العاطفة فيقول ميخائيل نعيمة:

> ينـــثر فـــيها (مجموعـــة في دمعة وابتسامة) جبران نتفا فياضة من قلبه وشـــرارات وهاجـــة من فكره، وألوانا مواجة من خياله، وينثرها بقلم نـــاعم، صـــادق، سخى يحاول في الكثير من نبراته محاكاة مزامير داود ونشـــيد ســـليمان وسفر أيوب ومراثى ارميا وتخيلات اشعا وعظات الناصري.[3]

استمد جبران عنوان هذا الكتاب من واقعة حدثت لـــه مع عاشقته اذا لقيها ذات يـــوم وكانت تبكى فسألها عما بها فمسحت الدموع وابتسمت، وقالت: هي دمعة وابتسامة.[4]

يقـــدم جبران إلينا في هذا الكتاب أكوابا مليئة بمرارة الكآبة والوحشة وأخرى طافحة بخمور الحب والأمل وكذلك يقدم بزوراً من عقيدته المبصرة التي ما زال ينير

---

[1] ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، ج١، ص١٩

[2] يقـــول جوزيف الهاشم بأنه يشمل على ستة و خمسين مقطوعة صغيرة. راجع: جوزيف الهاشم، المفيد في الأدب العربي، ص٦١٢

[3] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ص١٩

[4] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١٢

سبيله ويوجه خطاه إلى أن يصل به واحة الاتسقرار الروحي تلك الواحة التي كان ينشدها جبران كل حياته[1] والتي أدركها ووصف لنا مقالها ومفاتنها كتابه المشهور "النبي" فيقول جبران نفسه في مقدمة "دمعة وابتسامة":

> أنا رجل أبدل أحزان بأفراح الناس ولا أرضى أن تنقلب الدموع التي تستدرها الكآبة من جوارحي وتصير ضحكا. أتمنى أن تبقى حياتي دمعة وابتسامة: دمعة تظهر قلبي وتفهمني أسرار الحياة وغامضها، وابتسامة تدنيني من أبناء جلدتي وتكون رمز تمجيدي للآلهة — دمعة أشارك بها منسحقي القلب، وابتسامة تكون عنوان فرحي بوجودي.[2]

٦- "المواكب"

وهي قصيدة طويلة تشتمل على مئتين وثلاثين بيتا من الشعر[3]، أصدرها جبران سنة ١٩١٨م[4] على نفقته. وعرض جبران فيها أبدع رسومه الرمزية إلى أبياته الفلسفية عن الحياة ووجود الإنسان. فهي تمثل ناحية جديدة من بيان جبران المتعدد بالنواحي. فقد اختار فيها أن يتقيد بالوزن والقافية. فيلجأ جبران إلى تفكيره في هذه القصيدة ويسوق إلى أفكار فلسفية في أهم أمور الحياة الإنسانية كالخير والشر والدين والحق والعدل والحرية والحب والسعادة والحزن

---

[1] ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، ص٢٠

[2] ميخائيل نعيمة: جبران خليل جبران، ص١٣٧

[3] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١٢ وفي رأي الناعوري: هذا الكتاب يشمل عن مئتين وثلاثة أبيات

[4] عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص٢٠٩، د. حاوي: جبران، ص١٠٦، غوغاسن: جبران، ص٦١ وفي رأي نعيمة تاريخه ١٩١٩م. لكن الأرجع هو تاريخ الدكتور حاوي في رأي لأنه درس دراسة تحقيقة في هذا الموضوع.

والموت والجسد والروح وغيرها.

وفي هذه القصية صوتان أحدهما يتخذ "بحر البسيط" لـــه نغمًا، والثاني "مجزوء الـــرمل" أمـــا الصوت الأول فصوت شيخ خبر الأيام وعرف حقيقتها فنضج تفكيره وحكته أما الثاني فصوت شاب يمثل الطبيعة ببساطتها وطهارتها حيث لا حكمة ولا فلســـفة ولا شرائع. يدعو الناس إلى العيش في الغاب عيشا مطلقا لا حدود لبساطته، وكأنمـــا هو يدعو إلى الخروج على التقاليد وإلى البعد عن الحضارة المعقدة التي سببت شقاء البشرية.[1] كما قال ميخائيل نعيمة:

> .. إن الأول (الشيخ) يمثل الحياة بظاهرها القبيح وباطنها الجميل، والثاني (الشباب) يمثلها وحدة روحية لا باطن لها ولا ظاهر. الأول يتبرم بما في الحياة البشرية من رياء وضعف وذل وقلق ونضال دائم بين الخير والشر. والـــثاني يمجد الحياة في "الغاب" حياة الفطرة والسليقة – حيث لا خير ولا شـــرّ بل استسلام كامل إلى المشيئة العاقلة المدبرة التي تتسامى فوق الشر والخير.[2]

ففـــي الواقع إن هذين الصوتين من الشيخ والشاب ليسا سوى صدى الصراع الداخـــلي في قلب جبران ما بين ايمانه بفطرة الانسان الإلهية وبين ما كان يبصره في حـــياة البشـــر من بشاعة وتشويش. حاول الشيخ أن يرسم صورة قبيحة من الصور للحـــياة والعقائد والتقاليد البشرية إنبرى لـــه للفتى يحبب اليه حياة الغاب حيث لا نفاق ولا اختلاف ولا عقائد وطبقات فيه[3] كما يقول الشيخ:

---

[1] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١٢

[2] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ص٢١

[3] عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص٢٦١

والعدل في الأرض يبكى الجن لو سمعوا به ويستضك الأموات لو نظروا
فالسجن والموت للجانين ان صـــغروا والمجد والفخر والأثراء أن كبروا[1]

فيجيب الشاب قائلا:

ليس في الغابات عدل لا ولا فـــيها العقاب
فاذا الصفصاف ألقى ظلـــه فـــوق التراب
لا يقول السرو هذى بدعـــة ضد الكتاب
إن عـــدل الناس ثلج إن رأته الشمس ذاب
أعطنى النـــاى وغن فالغنا عدل القلوب[2]

جال الصوت الثاني كل جولة من جولات الصوت الأول فيقول "ان ليس في الغابـــات شـــيء مـــن ذلك، بل كل ما فيها ألفة وصفاء وهناء لا يشوبها شيء من التناقض القائم في أفكار الناس وقلوبهم من حيث علاقتهم بعضهم ببعض وبالكائنات من حواليهم"[3]

إن "المواكـــب" من حيث بناءها الفني، مائتا[4] بيت من الشعر وثلاثة أبيات في خاتمـــتها مستقلة عن روح القصيدة. فالقصيدة تنقسم الي بضعة أجزاء كل جزء منها عشرة أبيات، مقسمومة على ثلاث دورات رباعية أولى ورباعية ثانية ومثنوية (٤-٤-٢). وهذا البناء كان يقتضيه عشرين موضوعا أو تسعة عشر موضوعاً وخاتمة.[5]

و"المواكب" نبراس فلسفى" تعشو إليه روح الشعر المهجري عامة، وأنها كانت

---

[1] نعيمة: المجموعة الكاملة، ص

[2] المصدر السابق: ص

[3] المصدر السابق، ص٢٣

[4] ولكن يقول جوزيف الهاشم وغيره في "المواكب" مائتان وثلاثون بيتاً من الشعر.

[5] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص٤٥

أبعـــد القصـــائد تأثيراً في شعر المهجر الشمالي[1] لأنها قصيدة الحياة وصورة المواكب الإنسانية التي شقت الطريق، إذ سعت إلى السعادة والحرية والخلود.

فالمواكب ملخص التأملات والأفكار لجبران التي تمثل بحوار الشيخ الذي يرمز للحـــياة البشرية، وبين الشاب الذي يرمز للحياة في الغاب أي للحياة الطبيعية[2] ويمثل حقيقة الحياة المجردة التي تهدى إلى نور المعرفة الحقيقة والجمال المطلق وغيرها أي هو الهادي إلى فرح الحياة حيث الخير والحب والجمال.

وقد سمّى جبران خليل جبران قصيدته "المواكب" لأنها تمثل مواكب أبناء الحياة في حـــياتهم الواقعية وكذلك تصوّر مواكب صدورهم التي تنـــزع إلى غايتها البعيدة وراء الحياة وهي الكمال الإنساني.[3]

كـــان جبران فنّانا رمزيّا فقد رسم في ديوانه شعره "المواكب" أحد عشر رسماً ترمـــز إلى معانـــيها[4] ولكن رسوم جبران الرمزية لا يسهل أن يفهم بجمالها وتأملاتها الخيالية التي أخفاها الفنان وراء تلك الخطوط الاطائفة خاصة من ذوى الأذواق الفنية الدقـــيقة. كذلك كل متأمل فيها يستطيع أن يفهمها جمالها التي أرادها جبران[5] كما شرح ميخائيل نعيمة: "فهناك تظهر فيها مواطن البراعية والجمال.[6]

ولا نستطيع أن نفهم مرامي هذه الرسوم الرمزية لننظر كيف تتسلسل رسوم جبران اللفظية في أبيات قصيدته. فيقول جبران بلسان الشيخ:

---

[1] المصدر السابق، ص٤٤

[2] Joseph. P Ghaugassian, "Khalil Gibran" New York, p. 41

[3] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٢٦٠

[4] المصدر السابق، ص٢٦٠

[5] المصدر السابق، ص٢٦٠

[6] نقلا عن: المصدر السابق.

الخير في الناس مصنوع اذا جُبروا والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا

وأكثر النـــاس آلات تحـــركها أصابع الدهر يـــوما ثـــم تنكسر

فـــأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرّعاة ومن لم يمش يندثر[1]

كان جبران أديبا فنانا يرسم بدم القلب ويكتب بعصير الروح، وكذلك كان فناناً شاعراً يتغنى سعادة البشرية ويبكى بأوجاعها وأحزانها. وقد شارك نفسه رساماً لآلامها، وآمالها وهاديا لها إلى الخير والحق والجمال. ولقد أحسن التعبير والتصوير في قصـــيدته الطويلة الوحيدة "المواكب" التي كانت فنا جديداً حينذاك في الأدب العربي الحديث.[2]

ويصح القول أن قصيدة "المواكب" تحتل مكان الصدارة في شعر المهجر عامة وفي شـــعر المهجر الشمالي خاصة لموضوعاتها المتنوعة وتأملاتها الفلسفية والإنسانية.[3] فالمواكـــب قصـــيدة فلسفية تعالج قضايا الحياة الفلسفية والمعنوية كصراع بين الخير والشـــر، والحـــياة والمـــوت، والعقل والنفس، والروح والجسد والسعادة والشتاء.[4] وكذلـــك نلاحـــظ أن جـــبران ثار على ظلم الحكام والتقاليد القديمة ورجال الدين والطقوس الدينية في هذا الكتاب كما فعل في كتبه المذكورة آنفا.

٧- العواصف

وهـــي مجموعـــة من المقالات والقصص والشعر المنثور التي كتبها جبران قبل "المواكـــب" ثم جمعها وأصدرها وسماها "العواصف" ونشرتها إدارة "الهلال" في مصر

---

[1] ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، ص٢٦٠

[2] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٢٥٩

[3] M.M. Badawi, A Critical Appreciation of Modern Arabic Poetry, p. 183

[4] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٤١

عام ١٩٢٠.[١] فكتب جبران هذا الكتاب تحت تأثير الحرب العالمية الأولى (١٩١٤)[٢] وكان آخر كتابه باللغة العربية وأهم مقالاته "حفّار القبور" و"العاصفة"، و"العبودية" و"يـــابني أمـــي" و"أبـــناء الآلهـــة" و"نحن وأنتهم" و"الأضراس المسوّسة" و"الشاعر" و"الشيطان" و"الجبابرة" وغيرها.

أمـــا الأقاصـــيص الـــتي كتبها جبران في كتابه هذا فأهمها "العاصفة" وبطلها يوســـف الفخـــري، شاب في الثلاثين من عمره ترك الدنيا وعاش في صومعة منفردة واقعة في وادي قاديشتا في شمال لبنان.[٣] صامتا بعيداً عن الناس لأنه أراد أن يحرر نفسه عـــن العـــبوديات التي يخضع لها الناس في حياتهم اليومية وهي عبودية الحياة وعبودية الماضـــي وعـــبودية التعاليم والعوائد والأزياء والعبودية للموتى فهو لا يرى في حياة الناس الا العبودية والرياء والنفاق.[٤]

ويعـــود جـــبران في "العاصفة" إلى التبرم بالناس وبتقاليدهم وكذلك يعود إلى تمجيد التمرد والإشادة بجمال الاعتزال وفي أخرها كان جبران ثائراً بدأ يشعر بأن الـــثورة وحدها قد تنتهى بأن تخذل ذاتها بذاتها. فيقول: قد تكون المدنية الحاضرة عرضـــا زائـــلا، ولكـــن الناموس الأبدي قد جعل الأغراض سلما تنتهى درجاته بالجوهر المطلق.[٥]

في "حفـــار القـــبور" لا يجد جبران لـــه شغلا أحب إلى قلبه من حفر القبور وإلحـــاد الأموات "الذين يرتعشون أمام عاصفة الحياة فنظنهم أحياء وهم أموات منذ

---

[١] المصدر السابق، ص٢٦، ويوسف كوكن: أعلام النثر والشعر، ج٢، ص٢٥

[٢] جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٧٠، وقبس: تاريخ الشعر العربي، ص٢٩٦

[3] Mickail Naimy:Great Work of Khalil Gibran, Delhi, 2003, p. 535

[٤] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ص٢٨

[5] نفس المصدر، ص٢٨

الـــولادة ولكـــنهم لم يجدوا من يدفنهم فظلوا منطرحين فوق الثرى ورائحة النتن تنبعث منهم.[1]

وجـــبران الـــذي جارى نيتشه (Nietzsche)[2] في نقمته على الناس وضعفهم واستكانتهم إلى الذلّ والعبودية لم يجاره في نظرته إلى يسوع المسيح. فيقول:

> ما عاش يسوع مسكينا خائفا. و لم يمت متوجعا. بل عاش ثائراً، وصلب متمرداً، ومات جبّاراً.[3]

وهذه النغمة عينها يردّدها فيما بعد في كتابه الإنكليزي "يسوع ابن الإنسان".

ومـــن أبرز الأقاصيص في "العواصف" وأهمها قصة "السمّ في الدسم" وبطلها فـــارس الرحال[4] الفتى وزعيم في قريته جمع بين المال والجمال والجاه. وقد إقترن الفتى بفتاة جميلة فأثار زواجه حسد رجال القرية بعد ستة أشهر اكتشف علاقات حب مـــتين بـــين زوجه وصديق لـــه فترك القرية سرا بعد أن ترك رسالته لدى كاهن القرية إلى صديقه فلما قرأ الصديق رسالته وأدراك منها أن فارس الرحال قد ترك القرية حيث لا يقف حجرة عثرة في سبيل محبته وأنه يرجوه أن يتخلى عن العناية بالمرأة التي يحبها فلم يجد بداً من الانتحار إذ رأي كيف يقابل صديقه خيانته بمنتهى الكرم والتضحية.[5]

---

[1] نفس المصدر، ص٢٦

[2] هـــو فيلسوف ألماني وسيد المتمردين والمتهكمين ومؤلف كتاب "Thus Spoke Zarathusta" (هكذا تكلّم زرادشـــت). وتأثر جبران بروح ثورته وتمرده تأثيراً بالغا. فدرس جبران معظم كتبه ولاسيما الكتاب هذا. كان هذا الكتاب في رأي جبران من أعظم ما عرفته كل العصور.

[3] ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، ص٢٧

[4] يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر، ص٢٦

[5] نفس المصدر، ص٢٦، راجع أيضاً: حاوي، جبران، ص٢٠٣

وكذلـــك مقال جبران المؤثر في "العواصف" بعنوان "مات أهلي"[1] الذي كتبه جـــبران عند ما كانت المجاعة تملك أهل لبنان أثناء الحرب العالمية الأولى. وهذا المقال منتهى الرقة والعذوبة والحنان فيقول فيه:

مات أهلي على الصليب

ماتوا لأنهم لم يكونوا مجرمين

ماتوا لأنهم لم يظلموا الظالمين

ماتوا لأنهم كانـــوا مسالمين[2]

فيصـــح القول، أن جبران قد صوّر في العواصف مآسي الشرق العربي ومعاناة شـــعبه والظـــلم والاســـتبداد، والمجاعـــة والبؤس، وكذلك صوّر تأملاته الفلسفي والاجـــتماعي ونزعاته الرومانطيقية العاطفية.[3] ومقالات جبران الثائرة الجامحة في هذا الكتاب هزّت عند صدورها الأوساط الأدبية في العالم العربي وبدأ يقرأ القراء العرب مقالاته[4] المهمة مثلاً: "حفار القبور" و"العبودية" و"مات أهلي"، "يا بني أمي" ليدرك مـــدى تلـــك العواصـــف العنـــيفة التي كانت تعصف في رأس جبران وتكاد تودي بطمأنينته وسكينته.

وكانـــت "العواصـــف" آخر كتاب عربي فأصدره جبران وبالإضافة إلى هذه الكتب التي ناقشناها آنفا، قد كتب جبران مقالات عربية نشرت في مجموعة "البدائع والطرائف" التي نشرتها مكتبة العرب في مصر عام ١٩٢٣ وأهمها: و"عظتني نفسي" و

---

[1] نعيمة: المجموعة الكاملة، ص٢٧

[2] ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، ص٢٨ وما بعدها

[3] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١٢

[4] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٢٩٩

"ارم ذات العمـــاد" و"مســـتقبل اللغـــة العربية" و"لكم لبنانكم و لبناني" و"الغزالى" و"زيدان" و"ابن الفارص" وغيرها.

ففي "وغظتني نفسي" يعود جبران عن ثورته الزرادشتية[1] فلا يجد نفسه "أرفع مـــن الصعاليك ولا أدنى من الجبابرة"[2] بل يفهم أهم وسائر الناس من عنصر واحد. فضعفهم ضعفه وخيرهم خيره وشرهم شره. وقوتهم قوته.

وفي "إرَمَ ذات العِمـــادم" مقال فلسفي وتأملي كتبه جبران بالعربية وظهر في ســـنة ١٩٢١م.[3] وفيه حاول جبران أن يفرغ في قالب قصصي خلاصة ما توصل اليه حـــتى ذلك الحين من التأمل في الإنسان ومصدره وحياته ومآبه وفي الزمان والمكان، وفي الـــروح والمـــادة وفي الموت والحياة بعد الموت، فبلغ إلى نتيجة واحدة هي، أن: "كـــل ما في الوجود كائن في باطنك، وكل ما في باطنك موجود في الوجود. وليس هناك حدّ فاصل بين أقرب الأشياء وأقصاها، أو بين أعلاها وأخفها، أو بين أصغرها وأعظمها."[4]

وانقطـــع جـــبران بعد كتابه الآخر بعنوان "العواصف" انقطاعاً كاملاً عن الكـــتابات العربية.[5] ثم انصرف إلى الكتابة الإنكليزية. ولكنه ظلّ يكتب مقالات مـــتقطعة أهمها كان ينشرها في الأعداد الممتازة من جريدة "السائح" في مطلع كل عام. وكان آخر مقاله بالعربية هو "حوار بين ملك وراع" عام ١٩٣١.[6] وهكذا

---

[1] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ص٢٦

[2] المصدر السابق، ص٢٦

[3] د. خليل حاوي: جبران، ص١١١

[4] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ص٢٩

[5] المصدر السابق، ص٢٩ ويوسف كوكن: أعلام النثر والشعر" ج٢، ص٢٧

[6] المصدر السابق، ص٢٩

اختـــتم جبران ثورته العنيفة بمؤلفاته الوافر كما قال ميخائيل نعيمة، صديق جبران وكاتب سيرته:

...خاتمة صامتة لثورة عنيفة، جامحة، مباركة هزّت الأدب العربي هزّا، وقـــد حمـــل لواءها قلب محبّ فسيح، وفكر إنساني جبّار، وخيال نفّاذ وثاب، وروح موقّع أجمل التوقيع لخير ما في الكيان البشرى من أشواق حـــرّاقة وحـــنين أبدى إلى الانعتاق من القيود والحدود للحظوة بحرية المعرفة لا توصف ولا تحد.[1]

---

[1] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ص٣٠

ب) آثار جبران الإنكليزية وفلسفته المصورة فيها

كانت انتجات جبران الأدبية قبل تأسيس الرابطة القلمية بالعربية فمنها الأجنحة المتكسرة "وعرائس المزوج" و"دمعة وابتسامة" و"المواكب" وغيرها كما ذكرنا آنفا تم إنصرف بعد ذلك إلى التأليف بالإنجليزية لأنه أراد أن تنتشر رسالته الأدبية والإجتماعية تعم بين الناس في كل أنحاء العالم.[1] وكذلك كان يشعر بأنه يحمل رسالة روحية إنسانية إلى جانب رسالته الوطنية وأن هذه الرسالة الروحية شيء أوسع بكثير من أن تحده حدود العاطفة القومية.[2]

كان جبران يكتب في الحب الضيّق الخاص قبل كتابة مؤلفاته الإنكليزية ثم كتب في الحب العام المطلق خاصة في كتابه "النبي". وكانت روح كتاباته وموضوعاتها قومية فأصبح، إنسانية عالمية في كتبه الإنكليزية ثم دخل في طور الفلسفة فكانت فلسفته مبنية على الحب وعلى نقيض فلسفة نيتشه المبنية على البغض النقمة.

فكتب جبران ثمانية كتب بالانجليزية فأقبل عليها القراء في العالم الغربي ترجمها عدة اللغات العالمية وكذلك إلى العربية. وبالإضافة إلى هذه الكتب الإنكليزية، نشر جبران كتابا في الرسوم والخطوط بعنوان "Twenty Drawings" (عشرون رسما) في سنة ١٩١٩م. وقدم له أليس رافاييل (Alice Rephael) مقدمة رشيقة. فكتاب جبران الأول بالانجليزية بعنوان "The Madman" (المجنون) قد ترجم إلى أربع لغات[3] وكذلك كتابه (The Prophet) "النبي" قد ترجم عن الإنكليزية إلى أكثر من خمسين

---

[1] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٣٤٦

[2] المصدر السابق، ص٣٦١

[3] المصدر السابق، ٣٦١

لغة عالمية[1] وأعيد طبعه بالإنكليزية وحدها عشرات الطبعات وصدرت ترجمة الكتاب بالعربية عن دار المعارف بمصر في طبعة أنيقة مزينة بلوحات جبران نفسه بقلم الدكتور ثروت عكاشة وكانت كتب جبران الإنكليزية ترجمت إلى العربية تحت إشراف جبران نفسه إلا كتابيه الأخيرين "The Garden of the Prophet" (حديقة النبي) و "The Wanderer" (التائة) اللذين طبعا بعد موته.[2]

وجبران لم يكن متصوفا عند الغربيين و لم يكن ثائراً عند الشرقين في وقت واحد بل تحوّل معتقداته الثائرة إلى معتقداته التصوفية في كتاباته المتأخرة خاصة في مؤلفات الإنجليزية.[3] كذلك أعلن جبران ثورته العنيفة في كتابه "المجنون" الذي ظهرت عام ١٩١٨.[4] كما قال الدكتور خليل حاوي عن ثورة جبران على الغرب بروح الشرق: "أشهر ثورته (جبران) على الغرب بروح الشرق كما أشهرها من قبل على تقهقر الشرق مستلهما ماصفا من روح النهضة الغربية".[5]

كتب جبران الإنكليزية التي ترجمها انطونيس بشير وعبد اللطيف شرارة وانطون وفارس إلى العربية: "المجنون" (The Madman) و"السابق" (Forerunner)، "النبي" (The Prophet)، "رمل وزبد" (Sand and Foam)، "يسوع ابن الإنسان" (Jesus Son of Man)، "آلهة الأرض" (Earth Gods)، "التائه" (The wanderer)، "حديقة النبي" (The Garden of the Prophet).

---

[1] المصدر السابق، ص٣٦١

[2] المصدر السابق، ص٣٦١

[3] د. خليل حاوي: جبران، ص١١٢ وما بعدها.

[4] Joseph P. Ghangassian, "Khalil Gibran" New York, p. 41

[5] د. خليل حاوي: جبران، ص١١٢

١- "المجـــنون" (The Madman): ألـــف جبران هذا الكتاب أولا باللغة الإنكليزية وظهـــر عام ١٩١٨م. فهو مجموعة من شعره وأمثاله. وهذا الكتاب قد امتاز بشعور الـــتهكم والسخرية. وهو يتضمن شذرات قصيرة تنبئ عن أفكاره وتاملاته في أمور الخير والشر وطبائع الناس في هذين الأمرين ويحتوى على فصول عديدة.[١] مثلا الكلب الحكيم، والذوات، وكيف مرت مجنونا، وحفار القبور، والاله الصالح والإله الشرير- والليل والمجنون، والبحر الأعظم، والحنين الأعظم،والعالم الكامل وغيرها.[٢]

قد اتضح في كتاب المجنون تأثير نيتشه (Nitzsche) على أسلوب جبران. كان جبران يعبر نفسه بأمثال كما فعل نيتشه وبليك.

٢- "السابق" (Forerunner): كتب جبران هذا في سنة ١٩٢٠م.[٣] ونرى جبران فيه فيلســـوفا ناضجا كثر غموضه يعبّر تفكيره الفلسفي بالأمثال والمواعظ وهذا الكتاب يشـــتمل على شذرات قصيرة ومنها: أنت سابق نفسك المحبة-بنت الأسد-القديس-الطمع-الأمم الصغيرة-الناقدون-الشعراء-دوارة الريح-المعرفة ونصف المعرفة-العالم الشاعر- التوبة اليقظة الأخيرة وغيرها. وهاكم قطعة من التوبة:

> دخل رجل في ليلة ظلماء إلى حديقة جاره فسرق أكبر بطيخة وصلت اليها يده وحملها وجاء بها إلى بيته.. وعندما كسرها وجد أنها عجراء لم تبلغ بعد نموها فتحرك ضميره في داخله إذ ذاك وأوسعه توبيخا فندم على أنه سرق البطيخة.[٤]

---

[١] يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر، ج٢، ص٢٨، وراجع أيضاً:
Mikhail Naimy, "Great works of Gibran", p. 244

[٢] نفس المصدر، ج٢، ص٢٩

[٣] Joseph P. Ghaugassian, "Khalil Gibran", p. 42

[٤] نقلا عن: يوسف كوكن، أعلام النثر والشعر، ج٢، ص٢٩، وراجع أيضاً:
Mikhail Naimy, "Great Works of Gibran", New Delhi, edition, 2003, p. 332

٣- "الـــنبي" (The Prophet): هـــو أروع وأبرز ما كتبه جبران وخلاصة ما ألفه.[١] وألفه أولا بالعربية ولكنه لم يطبعه ثم وضعه الإنكليزية وأصدره في عام ١٩٢٣م.[٢]

يتحدث جبران في هذا الكتاب عن نبي يسمى "المصطفى"[٣] المختار المحب، فهو بطـــل القصة الذي كان يعيش في مدينة اورفليس (Orphalese) ويقيم بين أهلها مدة اثنى عشر عاما منتظراً سفينته التي ستعود لتنقله إلى بلاده المحبة. وعلى الرغم من كون أيامه في اورفليس أيام عذاب وحزين. فقد أحب المصطفى أهل المدينة وشعر آلاماً أن يفارقهم. وما اكثر ما رجوه أن يبقى بينهم. وفي يوم الرحيل ترك أهل المدينة أعمالهم وجمعـــوا أمـــام المصطفى أن يودعه وسئلوه أسئلة متنوعة فاجاب مخاطبا أهل المدينة وكاشفا لهم أسرار الحياة متحدثا عن الحب والزواج، الموت والحياة، والسعادة والألم، والديـــن والصـــداقة، البيع والشراء، والحرية والشرائع، والجرائم والعقوبات، والأبناء والبـــيوت، والعطـــاء والعقل والهواء والجمال وغير ذلك مما بث جبران آراءه حوله. هكذا وضح فيه عصارة فكره وأشواق قلبه وخلاصة روحه.

ويجـــدر بالذكر هنا أن النبي المصطفى هو جبران نفسه الذي قضى اثنى عشر عامـــاً في مديـــنة أورفلـــيس بنيويورك حتى عام ١٩٢٣.[٤] أنه انتقل من بوسطن إلى نيويورك في سنة ١٩١٢ وعاش فيها إلى أخر حياته والبلد الذي اراد النبي أن يعود اليه هـــو لبـــنان[٥] وإن المـــرأة التي دعاها "المطر" (Almitra) هي مارى هاسكل، وجزيرة

---

[١] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١٣

[٢] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٣٦١

[٣] Mikhail Naimy, "Great Works of Gibran", p.7

[٤] J.N. Matlock and Others: Eiden (ed) Journal of Arabic Literature, Vol. V, 1974

[٥] Ibid, p. 64

اورفلـــيس هي الولايات المتحدة الأميركية.[1] وسفينته هي موت النبي الذي يحمله إلى لبنان. كما تقول الأستاذه نادره جميل سرّاج في هذا الصدد:

> فجأت الكتاب (النبي) وكأنه تصوير لنفسه (جبران) ولأحواله فاورفليس الـــتي يشتاقها المصطفى ويبغى العودة إليها هي لبنان التي حنّ لها جبران حنيـــنا لازمه كل حياته. والجزيرة التي قضى فيها المصطفى سنتيه اثنتى عشرة هي أمريكا التي اغترب فيها جبران. والميترا (Almitra) التي آمنت بالمصـــطفى وصدقت تعاليمه ودعت الناس اليه هي مارى هاسكل التي رفعته إلى درجات المجد.[2]

وقد أراد جبران أن يتوجه بالنبي إلى العالم أجمل بعد أن كانت كتاباته العربية وقفاً على لبنان والبلدان العربية كما قال جورج صيح في هذا السياق:

> كـــان (جبران) يكتب في الحب الضيق الخاص فأصبح يكتب في الحب العـــام المطلق. كان أدبه قومياً فأصبح إنسانياً. ثم دخل في طور الفلسفة فكانـــت فلسفة مبنية على الحب، على نقيض فلسفة نيتشه المبنية على الـــبغض. لذلـــك لا نصدق القائلين بأنه تأثر بأفكار نيتشه في مؤلفاته والذروة في هذه المؤلفات هو كتاب النبي الذي ترجم إلى جميع اللغات الحـــية في المعمـــور وطـــبع منه بالإنكليزية وحدها ما يزيد عن مليوني نسخة.[3]

كـــان جـــبران يحـــب العالم بكل ما فيه من إخلاص أي "الإنسان" وحنين

---

[1] جوزيف الهاشم: المفيد في الأدب العربي، ص٦١٣ و راجع أيضاً: JAL Vol. V, 1974, p. 64

[2] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٠٤

[3] جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٧٢ وما بعدها

"الشـــاعر" وحـــيوية "الفنّان" هذه ثلاث صفات التي نجدها في معظم كتب جبران. وكذلـــك كان يحب كل إنسان في العالم كله بدون حدود الدين والجنس والإقليم.[1] لأنه كل إنسان أخوه في رابطة الإنسانية الكبرى.

وفي كـــتاب "الـــنبي" يعبّر جبران تأملاته الفلسفية عن الحب والزواج والحزن والســـعادة والحـــياة والموت وغيرها. وكذلك مثّل فيه خياله الوهّاج. فسّر فيه للناس كيف يأكلون ويشربون ويحبون ويتزوجون ويولدون ويفرحون ويحزنون ويموتون في أمـــثال ومجازات ومواعظ.[2] وجوّد عبارتها وصقلها صقلا بارعاً. أكسب هذا الكتاب شـــهرة عالمية وقراء كثيرين بفضل روحه القوية وبجواهره الفلسفية وأساليبه الخيالية[3] فـــيقول جـــورج صيدح: "قد عاش هذا الكتاب بفضل روحه القوية لا بفضل ثوبه المزركش وسوق يعيش أبدا بجوهره وإن باخت، يوما ألوان أسلوبه."[4]

وكتب جبران هذا الكتاب لتنفيذ إرادته في تحقيق أحلامه وأماله الكبار. وطبع هـــذا الكتاب بيعت منه ما يزيد من ملايين نسخة وترجم إلى عدة لغات عالمية وحاز إعجـــاب الأمريكـــيين وبهر أنظارهم بما فيه من حكم روحانية ونظرات فلسفية في الأخـــلاق في أســـلوب خـــيالي، وبديـــع. وقد سار جبران فيه على سبيل نيتشه، (Nietzsche) الفيلسوف الألماني العظيم، في كتابه الشهير "Thus spoke Zarathusta" (هكـــذا تكـــلم زرادشت) ولكنه في نفس الوقت قد ربط ظروف حياة "المصطفى" بظروف حياته.[5]

---

[1] عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص٣٤٣ وما بعدها.

[2] جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٧٣

[3] نفس المصدر، ص١٧٣ وما بعدها.

[4] نفس المصدر، ص١٧٣

[5] Barbara Young: This Man From Lebanon, New York, pp 1919-20

٤- "رمـــل وزبـــد": (Sand and Foam) وهـــو مجموعة صغيرة من حِكم الروحانـــية[1] ظهـــر في سنة ١٩٢٦م. ليس هذا الكتاب الصغير باكثر من اسمه "رمل وزبد" حفنة من الرمل وقبضة من الزبد. وقول جبران فيه:

على هذه الشواطى اتمشى أبدا

بين الرمل والزبد

إن المد سيمحو آثار قدمى

وستذهب الريح بالزبد

أما البحر والشاطي فيضلان إلى الأبد[2]

٥- "يسوع ابن الإنسان" (Jesus the Son of Man) هو كتاب هام لجبران، ظهـــر عـــام ١٩٢٨م.[3] وكان جبران يحب يسوع الناصري وتعاليمه وسيرته. وصور جـــبران المسيح فيه كما يفهمه فكان يعتقد بنا سوتية المسيح فيقول: "قد ولد يسوع الناصري نشأ مثلنا وكان أبوه وأمه كوالدينا وكان هو انسانا."[4]

كذلك يبدى تعليماته وارشاداته باحسن أسلوب رشيق.

٦- "آلهـــة الأرض" (The Earth Gods): هو كتاب ثالث من ثلاثية جبران يعـــالج علاقـــة الانسان بالله. وهو حوار بين الآلهة الثلاثة المولودين في الأرض وفهذا الكتاب وكتاب آخر لجبران باللغة الإنكليزية، ظهر في حياته عام ١٩٣١م.[5]

وفيه يجرى حوار بين الآلهة الثلاثة عن الإنسان فيقول احد منهم:

---

[1] JAL. Vol. V, 1974, Leiden, p. 67, Joseph P. Ghaugassian: Gibran, p. 46

[2] نقلا عن: يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر، ج٢، ص٣٢

[3] Joseph P. Ghaugassian, "Khalil Gibran", p. 46

[4] جبران: يسوع بن الإنسان، ص٢٣٦

[5] Journal of Arabic Literature, vol. V, 1974, p. 68

فقد ولد الانسان للعبودية

وبالعبودية شرفه ومكافاته

وبحياته نطلب علامة لما بنا

وبحياته ننشر كما ذواتنا[1]

٧- "التائه" (The Wanderer) وهو مجموعة الأمثال والحكم والمواعظ والمقالات المختارة من كتب جبران المختلفة في أسلوب روحي مثل كتابه "السابق" (The Forerunner). فظهر هذا الكتاب بعد موت جبران في سنة ١٩٣٢.[2] وفيه حكايات نادرة قصيرة مثل "التائه- أغنية الحب- القبرة- والوحوش- النبي والغلام- جسد و روح- الملك- على الرمل- الهدايا الثلث- السلم والحرب- الراقصة- الحارسان- التمثال المبادلة- الضفادع- الشرائع والتشريع- الفيلسوف- الاسكافى وغيرها.

٨- **حديقة النبي (The Garden of the Prophet)**: هذا الكتاب ظهر بعد موت جبران عام ١٩٣٣.[3] يتحدث فيه جبران عن المصطفى المختار بعد وصوله إلى جزيرة مولده في شهر أكتوبر. فجرى الحوار بينه وبين البحارين وغيرهم حتى آتا إلى حديقة فدخل واغلق بوابتها وعندما انتهت الأيام الأربعون فتح المصطفى البوابة فجلس تلاميذه حوله وسأله واحد منهم: حدثنا يا معلم عن مدينة اورفليس وعن تلك الأرض التي اقمت فيها تلك السنوات الاثنتى عشرة. فبقى المصطفى صامتا لدقائق ثم قال:

---

[1] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ص٣٧٤

[2] Joseph P. Ghaugassian: Gibran, p. 48; JAL, Vol. V, 1974, p. 68

[3] JAL. Vol. V, 1974, p. 68

يـــا أصدقائي ويا رفاق طريقي ويل لامة تكثر فيها المذاهب والطوائف

وتخلو من الدين

ويل لامة تلبس مما لا تنسج وتاكل مما لاتزوع وتشرب مما لا تعصر

ويل لامة تحب المستبد بطلا وترى الفاتح المدل رحيماً

ويل لامة تكره الشهود في احلامها وتعنولها في يقضتها.[1]

فهـــذا الكـــتاب ثاني من ثلاثية جبران أصدرته الأنيسة بربارة يونغ بعد موته. وعالج جبران فيه علاقة الإنسان بالطبيعة وكذلك يؤكد علاقة الكائنات بالبيئة وليس معالجـــته هـــذا بالطريق العلمي بل بالشعري. أنه كان يحب الطبيعة والحياة الطبيعية البسيطة.[2]

---

[1] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ص٤٥٥ وما بعدها

[2] Joseph P. Ghaugassian: Kahlil Gibran, p 45

٣- جبران خليل جبران: أسلوبه الشعري

كـــان أول مـــا نشـــر مـــن كـــتابات جبران هو مقالة في الموسيقى بعنوان "الموســـيقى". هذه المقالة تشمل ثلاث عشرة صفحة من الحجم المتوسط[1] في اسلوب شـــعري رفيع. وإن جبران يستخدم الأسلوب الشعري نفسه وطريقة المعالجة نفسها في جميع مؤلفاته المتأخرة على السواء.[2] أكان الموضوع هو اللغة العربية كما نجد في مقالـــه بعنوان "لكم لغتكم ولي لغتي"[3] أو حياة لبنان السياسية في مقالة الآخر "لكم لبنانكم ولي لبناني"[4] وربما لم يبال جبران بوحدة الشكل وبوحدة الموضوع ولكن يلاحظ في موضـــوعات مخـــتلفة في نفس الوقت،[5] وخير مثال لذلك مقالة بعنوان "القشور واللباب".

إن جـــبران يشارك في أحداث من قصصه الثلاثة وهي: "مرتا البانية" و"وردة الهـــانى"، و"صُراخ القبور" كما قدمنا، بصفته نصيراً للخير العام أو مصلحاً، فيوافق على تصرف أشخاصه وآرائهم في الحياة أو يرفضها. ونجد في هذه القصص لونا محليا ووضعاً تاريخيا ينعكس لآراء جبران.[6]

وفي قصـــص جبران نرى عنصراً آخراً يؤدى إلى الانتظام، فهو استعماله النثر

---

[1] د. خليل حاوي: جبران، ص٢٤٤

[2] المصدر السابق، ص٢٤٥

[3] انظر: نعيمة، جبران، ص٩٥

[4] انظر: ميخائيل نعيمة، المجموعة، ج٣، "البدائع والطرائف"، ص٢٠٢

[5] د. خليل حاوي: جبران، ص٢٤٥

[6] المصدر السابق، ص٢٤٧

الشـــعري في ســـائر أقوال أشخاصه استعمالا دائما.[1] وتلك الأقوال تأتي إما بصورة خطـــب غنائـــية تتصف بالحماسة، وإما بصورة عظات منقمة يتميز بها حتى السرد، بحيث لا تختلف النبرة في أساسها إطلاقا. وإن العنصر الشعري في قصصه أصبح أبرز وأمـــيز بمرور الزمن وهاكم نموذج من أسلوب جبران يظهر فيه روح جبران المتميزة بطابعهـــا الخـــاص، وألفاظـــه وتعـــابيره الجديدة. يقول جبران في كتابه "الأجنحة المتكسرة":

> للكآبـــة أيـــاد حريرية الملامس، قوية الأعصاب، تقبض على القلوب وتؤلمهـــا بـــالوحدة فالوحدة حليفة الكآبة، كما أنها أليفة كل حركة روحـــية، ونفـــس الصبي المنتصبة أمام عوامل الوحدة وتأثيرات الكآبة، شـــبيهه بالزنـــبقة البيضاء عند خروجها من الكمام ترتعش أمام النسيم وتفتح قلبها لأشعة الفجر، وتضم أوراقها بمرور خيالات المساء.[2]

وأمـــا ثلاثـــة كتب جبران القصصية هي "الأجنحة المتكسرة" و"الأرواح المـــتمردة" و"عـــرائس المروج". وأما "الأجنحة المتكسرة" فهو شعري بكل ما في الكلمة من معنى. إن التغييرات التي أجراها تدل بوضوح إلى عزمه على إقصاء ما تـــبقى في القصة من ظلال النثرية، والارتفاع بالأسلوب إلى مستوى من الشعرية المغالـــية فجـــبران يصور شخصية سلمى كرامة، بطلة لهذه القصة، على نحو يبين طموحه إلى المرأة المثالية القادرة على منحه عطف الأم في الوقت نفسه الذي تكون فـــيه أختا لروحه، وليس المقصود بها أن تكون صورة واقعية صادقة لحلا الضاهر،

---

[1] المصدر السابق، ص٢٤٧

[2] نقلا عن: عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٦٢ وما بعدها

موضوع حبه الأول في حياته الواقعية.[1]

ويجـــدر هنا المناقشة عن اسلوب جبران من طريق مقوماته الأساسية هي اللغة والايقاع والصورة، أما من ناحية اللغة فالكلمات عند جبران أشبه "بأجسام" لا قيمة لها في ذواتها، بل تكمن قيمتها الفعلية معناها، وهو "الروح" الذي ينفخ الحياة في تلك الأجســـام.[2] وفي الواقـــع أن جبران لا يعتبر اللغة إلا وسيلة، فهو يرفض على اعتقاد التقلـــيديين. وكـــان يبتدع الاتجاه الحديث ويدعو إليه. وغير هذا أن مساهماته التي تكمـــن في إفادتـــه من آرائه في استعمال الاتجاه الحديث إياه استعمالا فعليا بتصميم وثـــبات. فالكـــلمات التي يستعملها جبران وصياغاتها مألوفة جميعا لا يخالطها ما هو ممات أو مفرق في القدم. وإن كان ذلك قد ورطه في بعض المشكلات أحيانا، وتتعلق هذه المشكلات بكلمات وتعابير لاتوافق المفهوم التقليدي للفصاحة، مع أنها فصيحة وصحيحة وخير مثال لذلك أن جبران استخدم الكلمة المعروفة ذات مرة "تحمم" بدلا "إســـتحم" التي استخدمها القدامى ورسخها المعجميون في باثباتها في معاجمهم[3] وإن معظـــم الذيـــن دافعوا عن جبران وجميع من هاجموه بسبب هذه الغلطة وغيرها من الأغـــلاط الـــنحوية أو اللغوية، احتكموا في تبرير آرائهم إلى تقاليد الفصحى القديمة بديـــل أن يناقشوا مبدأ تطور اللغة.[4] وأن لغة جبران لم تكن جديدة بكاملها ولكنها تقدمـــت خطـــوة واحـــدة بالاتجاه الذي طوره أسلافه في القرن السادس عشر حتى البســـتاني ومـــراش في التاسع عشر واستخدم جبران لغته استخداماً فنيا.[5] وعلينا أن

---

[1] د. خليل حاوي: جبران، ص٢٤٨

[2] مجلة الآداب، ج٥، العدد٣، آذار ١٩٢٧، ص٩٠، رواد القصة في لبنان

[3] الدكتور خليل حاوي: جبران، ص٢٨٠

[4] المصدر السابق، ص٢٨٠

[5] المصدر السابق، ص٢٨١ وما بعدها

نوافــق جبران في قوله: "إن الوسيلة الوحيدة لإحياء اللغة هي في قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين أصابعه."[1]

ونستطيع أن نلاحظ إيقاع أسلوب جبران يقوم على المقابلة في مختلف أشكالها بصــورة رئيســية أما معظم أنواع المقابلة وروداً فهي المطابقة التامة أحيانا والناقصة أحيانا أخرى. فهو يستخدمها في كتاباته العربية أكثر من كتاباته الإنكليزية خاصة في مرحلتــيه المــبكرة والمتوسطة. وهكذا نجد في كتاباته المبكرة عدداً من الجمل ذات الموازنة الطباقية كقوله مثلا: "أريد أن أموت شوقا ولا أحيا مللا".[2]

وفي مــا يــلي مثال آخر على النوع نفسه من المطابقة ولكن المشابهة بنائه في أقــرب: "أنا القلب البشرى قد حبست في ظلمة الجامعة فضعفت، وقيدت بسلاسل الأوهام فاحتضرت، وأهملت في زوايا غي المدنية فقضيت."[3]

فــإذا صــرفنا النظر عن التشابه العام في المعنى ما بين هذه العبارات المتتالية، نلاحظ أن فيها شبها قريباً من حيث الحركة ما بين الكلمات الواقعة في بدء كل منها وفي نهايــتها:"حبست"، "ضعفت"، "احتضرت"، "أهملت" وإن بعضها يتساجع مع بعض. وقد رأينا أن المقابلة، سواء في الطباق أو في الكلمات المتشابهة أو المترادفة، هي من الخصائص الرئيسية التي ميزت مؤلفات جبران المبكرة والمتوسطة[4] وكذلك أنواع المطابقة الثلاثة المذكورة موجودة في "المجنون" أول كتبه الإنكليزية وغيره.

ومــن الواضــح أن أسلوبا تحرك العاطفية إيقاعه يروق المشاعر. ولعله يروق

---

[1] ميخائيل نعيمة: المجموعة، ج٣، البدائع والطوائف، ص٢٤٦

[2] نقلا عن: د. خليل حاوي: جبران، ص٢٨٣

[3] نقلا عن: الدكتور خليل حاوي، جبران، ص٢٨٤

[4] المصدر السابق، ص٢٥٦

الخـــيال أيضـــا بواسطة صوره والصورة عند جبران في مرحلته المتوسطة لم تكن هي بالـــتمام في مرحلـــته المـــبكرة إذ قد تطورت بعض الشيء من حيث الوفرة والعمق والمدلول الرمزي.

ولما كانت آثار جبران تعجّ بالصور المفردة، نستطيع أولا أن ننتقى بعضا منها، كـــيفما اتفـــق، من مؤلفاته المبكرة، مثل قوله عن حزن سلمى كرامة: "رأيت تلك الأجفـــان التي كانت منذ أيام قليلة تبتسم كالشفاه وتتحرك كأجنحة الشحرور قد غارت وجمدت واكتحلت بخيالات التوجع والألم"[1]

وقد استمرت هذه الأنواع المبكرة من الصور في مرحلة جبران الثانية، غير أن صوراً جديدة برزت إلى جانبها، وقد تميزت منها بالغنى والعمق والمدلول الرمزي نجد هذه الصور في كتاب "العواصف" وهو يشكل جزءاً كبيراً من أثاره في مرحلته الثانية. وينم عن رؤيا أعمق، وقدرة على التخيل أقوى مما في آثاره السابقة[2]

ويصـــح القـــول أن أسلوب جبران التعبيري والبياني بخيالاته الرقيقة وعباراته البســـيطة الغنـــية بالموسيقى قد أحدث في العالم العربي هذه هزة تفتحت لها نفوس الأجـــيال الجديـــدة فاتـــبعوا لغة جبران واسلوبه الخيالي، وأخذوا يستعملون ألفاظه وتعـــابيره الجديـــدة واســـتعاراته وتشابيهه وكناياته التي لم يألفها العرب من قبل.[3] فأســـلوب جـــبران الجديد لا يعتبر اليوم جديداً لأنه أصبح أسلوب الأدب الإبداعي الحاضر.[4] فيقول عيسى الناعورى في هذا الصدد:

---

[1] جبران: الأجنحة المتكسرة، ص٤٤

[2] الدكتور خليل حاوي: جبران، ص٢٩١

[3] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٦١

[4] المصدر السابق، ص٦٢

لم يكـــن جبران يجرى على طريقة واحدة في الكتابة. فهو حيناً يكتب خيالا عاطفياً مجرداً، وحينا أحاسيس واقعة عميقة، وطوراً يخاطب الناس بالأمـــثال والرموز والحكم والمواعظ الروحية، وطوراً بأسلوب التعنيف القاســـي، وتارة يكتب شعراً فلسفياً تأمليا، وتارة نثرا شعريا موسيقيا. غير أن كل هذه الأساليب والطرق التعبيرية كانت تفيض من شخصية متميزة في تفكيرها وخيالها وروحها وبيانها، وتجرى بألفاظ شفافة عميقة الـــتأثير، سواء أكان ما يكتبه نثراً، أم شعراً، وسواء أكان أقصوصة، أم مثلا، أو حكمة، أو خيالا، أو تأملات في الحياة الطبيعة وفي الكون وما وراء الكون.[1]

والأســـلوب ليس مجرد ألفاظ وتعابير ولكنه طريقة تفكير وطريقة تعبير معا، وهو وسيلة إظهار شخصية الأديب والشاعر والفنان مستقلة متميزة عما عداها فمثلا يقول جبران في كتابه "دمعة وابتسامة":

انـــت تهميس في أذن الوردة أسرارا غريبة تفهم مضادها فتضطرب تارة وطوراً تبتسم وهكذا تفعل الآلهة بأرواح الشر.

أنـــت تكتبين على وجه البحيرة أشعارا ثم تمحينها وهكذا يفعل الشعر المترددون.[2]

بهذه التعابير الجديدة والخيالات الرائعة والألفاظ الموسيقية تميز أسلوب جبران الجديد وأصبح اسلوب العصر الحاضر. ففي أسلوبه نجد الموسيقى والخيال الجميل وفيه

---

[1] المصدر السابق، ص٦٢

[2] نقلا عن: الناعورى: أدب المهجر، ص٦٤

الفني بالمعاني الرقيقة غير المألوفة وجمال البساطة ورقتها.[1]

ولقد تكلم جبران بالرموز كثيراً بل لعله أول من تكلم بها بين أدباء العرب في العصر الحديث ومن عنده شقت طريقها إلى الأدب العربي وتأثر بها أدباء العرب كل التأثر.[2] غير أن رموز جبران كانت في بعض الأحيان تبدو غامضة، بحيث لا يتوصل القارئ بسهولة إلى إدراك معانيها. وأكثر ما جاء ذلك في كتابه "آلهة الأرض" بشكل خاص، فليس من السهل إدراك الأفكار والمعاني الكامنة وراء محاورة الآلهة الثلاثة.[3]

وكذلك ابتدع جبران في الأدب العربي الحديث الأسلوب الرمزي ليعطى به الناس أسرار الحياة والوجود كما وعاها في ضميره[4] وخير مثال لأسلوبه الرمزي كتابه الشهير "النبي" وكتاب "آلهة الأرض" وما إلى ذلك. وهاكم قطعة من كتاب "النبي" فيقول جبران فيه:

> طالما سمعتكم تتخاطبون فيما بينكم عمن يقترف إثما كأنه ليس منكم، بل غريب عنكم ودخيل فيما بينكم، ولكني، الحق أقول لكم، كما أن القديس والبار لا يستطيعان أن يتساميا فوق الذات الرفيعة في كل منكم، هكذا الشرير، والضعيف لا يستطيعان أن ينحدر إلى أدنى من الذات الدنيئة في كل واحد منكم. وكما أن ورقة الشجرة الصغيرة لا تستطيع أن تحوّل لونها من الخضرة إلى الصفرة إلا بإرادة الشجرة ومعرفتها الكامنة في أعماقها، هكذا لا يستطيع فاعل السوء بينكم أن

---

[1] عيسى الناعوري: ص٦٤ وما بعدها

[2] نفس المصدر، ص٦٦

[3] نفس المصدر، ص٦٦

[4] نفس المصدر، ص٦٦

يقترف إثما بدون إرادتكم الخفية، ومعرفتكم التي هي في قلوبكم، فإنكم تسيرون معاً في موكب واحد إلى ذاتكم الإلهية.[1]

وهـــذه الرموز الجميلة الواضحة والحكم الدالة على عمق النظرة بعد مراميها كـــان لها أكبر الأثر في إنتشار اسلوب جبران بين الأدباء الجدد في المهجر الأمريكي والعـــالم العـــربي. وشـــارك جبران في تطور الأدب العربي أفكاره ومعانيه الجديدة وتأملاتـــه الفلســـفية والإنســـانية ونظراته الحكيمة في أمور الحياة كما رأي عيسى الـــناعوري عن تأثير جبران كبيرا في الأدب العربي الحديث بأسلوبه الجديد في التعبير والـــتفكير: "... كان (جبران) من أسبق المهجريين إلى الظهور وإلى التأثير في الأدب العـــربي الحديـــث بأســـلوبه الجديد في العبير. وقد بهر العالم العربي بخيالاته الجميلة واســـتعاراته الجديـــدة المدهشة، وبيانه المترقرق بأبسط الألفاظ وأعذ بها، وأوقعها في النفوس، على الرغم مما ينطوى تحتها في الغالب من روح ثائرة متمردة، حتى لقد دعى اسلوب الإنشاء والعصري الخيالي العاطفي بالأسلوب الجبراني".[2]

ويجدر بالذكر هنا أن جبران كان أكثر المهجريين الشماليين تنويعا في أساليبه الكتابـــية. فبينما هو في كتابيه "دمعة ابتسامة" و"الأجنحة المتكسرة" يخاطب الأرواح والقلـــوب بلغـــته الوجدانـــية الرقـــيقة المتسلســـلة الفنية بالصور والألوان الشعرية الجميلة،تجده في "المجنون" و"السابق" من كتب الإنكليزية مثلا حكيما يخاطب العقول بالأمـــثال وفي "آلهة الأرض" يتحدث بالرموز، وفي ديوانه "المواكب" يتحدث بطريقة الحـــوار التمثيـــلي، وفي "النبي" نجده معلما ومرشداً يخاطب الناس بلغة فيها نصيب للضـــمير وللروح وللعقل، وفيها أحيانا تعابير رمزية قد يلتبس معناها على الكثيرين

---

[1] نقلا عن: نفس المصدر، ص٦٥

[2] نفس المصدر، ص٧٤

ولكـــنها بـــرغم ومزيتها تترك في روح القارئ شعوراً قريرا بجمال أسلوبها وصورها وبحسن وقعها الشعري. وكان جبران في هذه الأساليب المتنوعة فنانا أصيلا وشخصية قوية في فنه، ونعده ذا طابع أدبي خاص مع تنوع أساليبه الكتابية والفنية الجميلة.[1]

وإن جـــبران هو الذي ابتدع أسلوب النثر الشعري في الأدب العربي الحديث وقـــد أطلـــق على هذا الأسلوب اسم "النثر الجبراني" أو "الأسلوب الجبراني"[2] وعلى الـــرغم مـــن أن شعر جبران لا يختلف من حيث الروح والعبارة عن نثره في أسلوب التعبير كما يقول جبران في قصيدته "يا نفس":[3]

يا نفس إن قال الجهول الروح كالجسم تزول

وما يزول لا يعـــود

قـــولى إن الـــزهـــور تمضى ولكن البـــذور

تبقى، وذاكنه الخلود

وقد أقبل على هذا الأسلوب الجبراني الكثيرون من أدباء الشرق العربي فقلدوه[4] كما تقول نادرة جميل سرّاج في هذا الصدد: "وأعجب الناس بأسلوب جبران الخيالي ونظـــراته التأملـــية وعاطفته المتقدة [كذا المتقدمة] من خلال نثره الشعري الرقيق. وسرعان ما أخذ بعض الشباب من المهاجرين في تقليده والائتناس بروحه الشعرية التي نفخها فيهم فاستجابوا لها"[5]

نريد أن نختتم بحثنا هذا عن أسلوب جبران بقول جورج صيدح:

---

[1] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٧٤ وما بعدها

[2] المصدر السابق، ص٦٧

[3] نعيمة: جبران، المواكب، ص٧٣

[4] جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص٤٩

[5] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٨١

برز جبران بأسلوب باهر أصدح مدرسة جديدة في البيان لما فيه من أخيلة وكنايات وألوان وألحان تعتلج بالنبض والحرارة والجمال، فهو رائد التجديد الأول وأستاذه الأكبر الأعطى اللغة إمكانية جديدة في التنسيق والبيان للتعبير عن الجمال، ورسم صوراً جديدة في كل موضوع عالجه.[1]

وبالاختصار كان الأدب العربي في مطلع القرن العشرين، يجرى على سنة التقليد في الغالب مقتصرا على النشاطات اللغوية. وقد تقطع كثير من الأسباب التي تصله بالنفس والحياة والمجتمع. وكانت فضيلة جبران الأولى "أنه وحد بين الأدب والحياة وجعل التجربة الأدبية تجربة حياتية تتخذ لذاتها، حينا، مظهر المعاناة النفسية آخر مظهر الثورة الإجتماعية."[2] اتخذ جبران من الأقصوصة وسيلة للتعبير عن أفكاره وعواطفة وما يجيش في عالمه الداخلي وكانت فنيته القصصية واهية، وفنيته الوجدانية عميقة، شديدة البثّ، تفجر الألفاظ وتكسوها بالظلال النفسية الإيحائية وتغمرها بالأطياف الشعورية. واللفظة في كتابات جبران هي، في الآن ذاته، وسيلة للإيقاع الداخلي، وبعث الموسيقى وأدب جبران يعتمد الصورة، بدلا من الفكرة وذلك لأن انفعاله وخياله هما أقوى تأثيرا من عقله. عرف جبران بأنه صاحب الشعر النثري، يعبر بضرب خاص من الألفاظ والصور ويبدع انغاما داخلية مرتطبة بنفسه وانفعاله.[3] هكذا وثار جبران على الكتابة التقليدية المتكلفة التي لا ترى الفصاحة والبلاغة الا في استخدام الألفاظ القاموسية، والتقعر اللغوي. طلب التحرر في اللغة وعبر عن تحرره

---

[1] جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص٥٠

[2] المصدر السابق، ص٦٥٧

[3] المصدر السابق، ص٦٥٨

وثورته في مقال لـــه بعنوان: "لكم لغتكم ولي لغتي" يقول جبران فيه:

لكـــم منها القواميس والمعجمات والمطولات، ولي منها ما غربلته وما حفظـــته الذاكـــرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله ألسنة في افراحهم وأثرامهم. لكم لغتكم ولي لغتي: لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق ولي من لغتي نظرة في عين المغلوب، ودمعة في جفن المشتاق، وابتسامة عـــلى ثغر المؤمن. لكم لغتكم ولي لغتي. لكم أن تلتقطوا ما يتناثر خرقا مـــن أثواب لغتكم، ولي أن أمزق بيدي كل عتيق بال،... لكم لغتكم عجـــوزا مقعـــدة، ولي لغتي صبية عارفة في بحر من أحلام شبابها. لكم لغتكم ولي لغتي.[1]

---

[1] نقلا عن: جوزف الهاشم: المفيد في الأدب، ص٦٦٠

٤- جبران: مكانه الأدبي في الشرق وفي الغرب

كان جبران خليل جبران أول أديب عربي في عصر النهضة الحديثة، اعتقد بأن الأدب هو رسالة سامية تؤديها الألفاظ المكتوبة وأن رسالته أن يفتح عيون الناس على الجمال والحق والحب والحرية.[1] كذلك جبران شاعرا وفنانا استطاع أن يجعل للأدب العربي جذوراً قوية باقية في ميدان الآداب العالمية الخالدة، ويجعل من بين حملة الأقلام العـــرب أديبا عالميا خالداً يفاخر به الشرق والغرب على السواء.[2] كما يقول عيسى الناعورى:

> الواقع أن أمثال جبران- و ليت لدينا ألوفاً مثل جبران — هم مفاخر لهذه الأمـــة، وخـــير دعاية لها أمام عيون الغربيين وضمائرهم العمياء، لأنهم يفهمونهم أن العرب ليسوا جميعهم رعاة إبل وسكان خيام، ولكن فيهم مـــن يـــرغمون الغـــربين عن إحناء الرؤوس أمام عبقريتهم وعظمتهم وتفوّقهم، فمن الظلم أن نتهم هؤلاء بالعقوق والتنكر لأمتهم، وهم من أعظم مفاخرها ورسلها إلى العالم.[3]

وكذلـــك لمـــع نجم جبران في الأوساط الأمريكية بعد علاقاته بجمعية الشعر الأمريكـــية فســـاهم في تحرير مجلة "الفنون السبعة" (The Seven Arts) الانجليزية التي

---

[1] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٣٤٧

[2] المصدر السابق، ص٣٤٨

[3] المصدر السابق، ص٣٦٢

شهرت اسمه في عالم التأليف بالانجليزية.[1] وقد أثرت كتب جبران في الأوساط الأدبية في العالم الغربي وفي معاصريه من الأدباء والشعراء في العالم العربي وفي المهاجرين الشماليين والجنوبيين وغير المهاجرين فهم اعترفوا بجبران اعترافا وأصبح في نظرهم نابغتهم وفيلسوفهم وحدقة عيونهم فبدؤوا يترجمون مؤلفاته الانكليزية إلى العربية.[2] وقد عظّمه الأميركيون في حياته ومنحوه ما يستحق من قلوبهم وجيوبهم. كما كتبت عنه جريدة "هرلد" في نيويورك: "أنه (جبران) نابغة ستين مليونا من الشرقين المتكلمين العربية."[3] ويعلّق جورج صيدح قائلا:

> أنه (جبران) أعجوبة الستين مليونا، وهل أعجب من أن يموت أديب عربي في منفاه، عن تركة محترمة في المصارف والمكتبات. وأن يوصى للقرية اللبنانية التي ضنت عليه بالكفاف من الرزق بربع كتبه ومجموعة صوره، وأن يخلف للبلاد التي جارت على قلبه في صباه، كنوزا لا تثمن من الشهرة والمجد.[4]

وكان أجمل ما ختم به جبران حياته المليئة الحالفة أن أوصى بربع كل كتبه وصوره ومؤلفاته لبلدته الحبيبة (بشري) وفي الواقع أن بشرى نفسها لم تبخل على جبران بعد موته، بل اعترفت له بالفضل وردّت الجميل إليه مثلا فهناك موجود مدفن جبران، ومتحف جبران وروضة جبران، وفندق جبران، واسم جبران على باب أكثر من مكان في بشري وغيرها من مظاهر التكريم.[5]

---

[1] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٠١

[2] المصدر السابق، ص٣٠١

[3] نقلا عن: جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٧٣

[4] المصدر السابق، ص١٧٣ وما بعدها

[5] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٠٦

وقـــد كـــان تأثير جبران في الأدب العربي الحديث تأثيرا فإنه أنشأ في الأدب العـــربي مدرسة بيانية جديدة أي مدرسة المهجر الشمالية وكان تخاطب جميع الحواس وتخلق الجو الساحر فيه ونشر من الأفكاره ما يغذى العقول ويرهف الأذهان، فأصبح قدوة للأدباء الشباب في العالم العربي.[1] فكتب عنه أمين الريحاني:

> في مديـــنة من العالم الجديد قلبها من حديد. بين عجيج يروع وضخيج يصم، حيث تذبح الأصوات الوديعة وتختنف الأشواق العالية، في قلب التيار القهار المبدع جبابرة العمل في ظلال ناطحات السحاب، في المدينة الـــتي تحصى وتزن وتقيس كل شيء. أقام من لا يحسن العد، ولا يحزم المقايـــيس والأوزان. وأبـــدع إنشاء وفكراً. فسمعت كلمته أمم تضن بسيعها على الشرق ورد حكمته الجالسون على عروش الحكمة بعد أن أمس جبران ذا عرش بينهم.[2]

وكـــان جبران خليل جبران أديب المهجر الأكبر الذي بعث الحركة الأدبية في المهجـــر هي "صنيع العقد الثامن من القرن المنصرم ولكنها كانت حركة محدودة لم تحـــس لها ركزا ولم ينتقل صداها من المحيط الذي كانت فيه" وأحيا هذه الحركة من جوها المحدود إلى الجو العربي في مشارق الأرض ومغاربها.[3]

ولم يصـــادف أديـــب عربي من الرواج والقبول عند القراء في العالم الغربي ما صادفه جبران خليل جبران. فقد جذب أسلوبه الخيالي الجميل وطريقته المبتكرة كثيراً مـــن المتشـــوقين. فقد فتن الأمريكيون بكتب جبران الإنكليزية وبوجه خاص "النبي"

---

[1] صورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٧٤

[2] نقلا عن: صيدح، أدبنا وأدباؤنا، ص١٧٤

[3] زهير ميرزا: ايليا أبو ماضي، ص٣٨

الذي بيع منه أكثر من ملايين نسخة و"رمل وزبد" (Sand and Foam) الذي بيع منه ٣٢٩٠٠ نسخة و"التائه" ١٧٩٠٠ نسخة و"المجنون" (The Madman) ١٦٣٠٠ نسخة.[1]

وخلاصة القول، إن جبران خليل جبران قد نال شهرة عالمية لم ينلها أديب عربي آخر[2] وكان شاعراً وكاتبا رساماً في وقت واحد وكذلك مثقفا بالآداب الغربية ثقافة واسعة. وقد نزع في شعره منزعا رومانسيا وديوانه الوحيد "المواكب" يعد أمًّا لشعر المهاجر الأمريكي جميعه شمالا وجنوباً.[3] وهو في "المواكب" ثائر على أوضاع الحياة الإنسانية بقوانينها وشرائعها. وكان يطلب إلى الناس أن يفروا من حياة المدن والمدنية إلى الغاب أو إلى الطبيعة حيث البساطة ولا سيادة ولا عبودية ولا عدل ولا ظلم ولا قوة ولا ضعف ولا ايمان ولا كفر ولا خير ولا شر فيه ويتطلع إلى المجهول الخالد ويرمز إليه بالموسيقى والغناء على الناى فيجعله خاتمة لكل نشيد من أناشيد قصيدته. وسرت هذه الروح الرومانسية في شعراء الرابطة القلمية جميعاً وسر معها احساس عميق بآلام الحياة الإنسانية. هكذا ثار جبران على الحياة المادية والمدنية في الغرب بروحنية الشرق.

نال جبران شهرة عالمية في العالم الغربي والعالم العربي ما لم ينلها أديب عربي آخر ودرّت عليه شهرته من أجل مؤلفاته ورسومه الكثيرة[4] وبوجه خاص بعد نشر كتابه "النبي" الذي قد بيع مليون نسخة له في سنة ١٩٥٩. وهذا خير دليل على نوعية المعجبين بجبران في العالم الناطق بالإنكليزية.

---

[1] محمد عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، القاهرة، ١٩٦٢، ص٢١٣

[2] الناعوري: أدب المهجر، ص٨٦

[3] الدكتور شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص١٨٢

[4] عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص٨٦